روايات أحلام

كاي ثورب

# عُمري بينَ يَديكَ

www.elromancia.com

مرمورية

# روايات أحلام

## عمري بين يديك - كاي ثورب

كارولين أدامس بحاجة الى المال، وغوستاف ليو بحاجة الى زوجة. لذا، عرض عليها تسوية ديونها لو قبلت بتمثيل دور زوجته. وكان مقدراً لهذا الزواج أن يكون مؤقتاً.

ولكن كارولين أدركت سريعاً أن علاقتهما لم تكن مجرد صفقة. مع أن غوستاف كان قد قال لها «الحب هو شعور مبالغ فيه. وأنا لا أملك الوقت ولا الرغبة به».

ولكنها كانت غير قادرة على مقاومته أو منع نفسها من الوقوع في حبه. ومع اليأس الذي كان يتملكها، كانت تعلم أن سخريته العميقة لا يمكن أن تتزعزع.

# ١ ـ أسوأ من العاصفة

كان المطر ينهمر من سماء مكفهرة وكأنما أبوابها قد فتحت. مساحات سيارة كارولين «الاوستن» الرمادية الصغيرة، كانت تعمل دون توقف. ولكن بجهد غير كاف لتوضيح الرؤية أمامها. كانت تقود سيارتها منذ ساعتين في هذا الطقس المكفهر، منذ أن غادرت «وارشستر» ولم يبدو حتى هذه الساعة أن هذا الطوفان سيخف. كان من المفترض أن تصل إلى مزرعة «ليندساي» منذ أكثر من ساعة، ولكنها وجدت نفسها تسير في طريق موحل لا ينتهي، لا يقودها كما يظهر الى مكان محدد.

وازداد الأمر سوءاً عندما أدركت انها قد تكون انحرفت الى منعطف خاطىء، ولعنت نفسها على هذه الغباوة، واستدارت بسيارتها في تلك الطريق الضيقة لتعود أدراجها من حيث أتت. كانت السماء تظلم بسرعة بقدوم الليل، وادركت ان الشيء الوحيد المتعقل أمامها هو أن تبحث عن مكان تلجأ اليه لتقضي الليلة في مزرعة قريبة حيث تستطيع الاتصال بدنيس لتخبره بالمأزق الذي وقعت فيه. وتجهم وجهها وهي تتخيل انزعاجه من فشلها في اتباع التعليمات البسيطة التي أعطاها لها، ولكن عليها أن تواجه ثورة غضبه هذه.

دنيس ليندساي، خطيبها، شديد التمسك بدقة المواعيد وبالعمل المناسب في الوقت المناسب وفي المكان المناسب. وبينما الآخرون يعتبرونه متزمتاً مثيراً للضجر، وجدته كارولين دوماً من الاشخاص الذين يعتمد

عليهم ومن الشرفاء. هاتان الميزتان المهمتان لم يكن والدها يمتلكهما أبداً في حياته، وكانتا، ربما، السبب في اعجابها بنسيس كثيراً. كانا قد التقيا صدفة. في منزل قريب مشترك منذ سنتين، وبمرور الوقت أصبح صديقاً ومستشاراً لها. منذ اسبوعين، عشية مغادرته لقضاء عطلة في مزرعة ذويه، أخذها لتناول العشاء، وطلب منها أن تتزوجه، ووافقت. ووجد أن الوقت المناسب قد حان لاعلام ذويه بقرارهما، وليعلن خطوبتهما رسمياً.

كان مقرراً لهذا أن يجري هذا المساء، وتنهدت كارولين، وهي تنعطف بالسيارة مبتعدة عن حفرة حادة على الطريق، ولكن تنهيدتها، في اللحظة التالية، تحولت الى صرخة مدوية، وهي تضع رجلها على مكابح السيارة وتوقفها فجأة. فقد بدا أمامها في الضوء المنبعث من مصابيح السيارة. الجسر الذي عبرت عليه منذ ساعة، وقد غمرته المياه المتدفقة من الامطار، الاحمق وحده قد يقرر المخاطرة بعبوره. وتراجعت بسيارتها الى الخلف، ولكن مؤخرة السيارة ارتفعت، وانزلقت الاطارات تحفر عميقاً في الوحل. وذعرت كارولين وحاولت ثانية، ولكن «الأوستن» لم تتحرك. واخفضت رأسها على «مقود وقد اسقط بيدها من التعب. لم يتم شيء كما هو مقرر له. ولو أن البكاء سيحل لها المشكلة في تلك اللحظة لما ترددت أن تفعل.

وحاولت مرة أخرى، وهي يائسة لتصل الى حيث تقصد، أن تخرج سيارتها من الوحل المتراكم، ولكن السيارة بقيت دون حراك، وكأنما الاطارات قد اصبحت ملتصقة بالتراب اللزج، واقفلت سترتها الصوفية ووضعت قبعة حول شعرها قبل أن تخرج من السيارة لتواجه الليل البارد المبتل، وفي ضوء مصابيح السيارة وجدت أن الاطارات قد انغرزت عميقاً في الوحل أكثر مما كانت تتصور، وادركت انه قد يمر عليها ساعات قبل أن يجدها أحد ما على هذه الطريق المهجورة. واطفأت مصابيح السيارة، واتكأت على السيارة للحظات، وبينما كانت



تحاول ايجاد حل لمشكلتها، بدا لها نور بين الاشجار على بعد عدة امتار من الطريق، وخفق قلبها بالامل. ربما يوجد هناك شخص ما يستطيع مساعدتها للخروج من هذه الورطة التي أوقعت نفسها بها، وقررت، واقفلت ابواب السيارة، واتجهت نحو السور وتسلقته، وهي تحاذر تمزّق البنطال الذي ترتديه. وحاولت توفير طاقة مصباح اليد قدر المستطاع وجاهدت لتصعد المنحدر الخفيف المنزلق وهي تلتف بين الاشجار والاعشاب الشوكية نحو ما قد يكون الحل لورطتها. وكان المطر يضرب جسدها النحيل، مبللاً ثيابها، واخذت ترتجف عندما اقتربت مما اعتبرت انه منزل ريفي. ما رأته لم يكن أكثر من كوخ صغير له كما يبدو سقف من القش، وترددت، ولكن الضوء من النافذة كان مغرياً، يعرض عليها الدفء والحماية من المطر المتدفق بغزارة، وتغلبت على خجلها الطبيعي، وتقدمت من الكوخ بحرص وقلق لتنظر عبر النافذة.

كانت الغرفة فارغة إلا من صوفا خربة ومقعد وضع أمام المدفأة، التي تستعر فيها النار، وعلى خزانة قديمة قرب الحائط كان هناك قنديل كاز، ولكن لم يكن هناك أي أثر لمخلوق.

وترددت كارولين وهي تقف هناك تحت المطر، وقد التصقت ملابسها بجسدها، وبدأت رجلاها بالتجمد في الحذاء الموحل المبلل. وتشوقت لدفء النار البادية من وراء النافذة الخشبية الصغيرة، شيئاً ما كان يخيفها، ولكن جسدها المتجمد من البرد كان بطيئاً في الاستجابة للإنذار الذي أطلقه عقلها.

واستمرت تحوم حول النافذة، وقررت متأخرة أن تتراجع، وفي اللحظة التالية شعرت بيد تكاد تنزع كتفيها من مكانهما، ووقع المصباح من يدها المرتجفة ليستقر تحت قدميها. والتصق جسدها الى الجدار القاسي بقوة جعلت انفاسها تكاد تزهق، ثم حدقت عيناها المرتعبتين بشبح ظل ضخم.

ـ من أنت، وماذا تريد؟

واقتحم جسدها الرعب، فلم تقدر أن تفعل شيئاً سوى التحديق في شكل رجل مفرط في الطول فوقها. وحاولت أن تتكلم، ولكن الصوت لم يخرج من بين شفتيها المتجمدتين. ووقفت وهي ترتجف في قبضته، وهو يأمرها.

- رد علي!

وحاولت كارولين ثانية، ولكن صوتها انحبس في حلقها. وتمتم الرجل ببضع شتائم زادت من خوفها وامسكها من رقبتها بيد غليظة وجرها نحو الكوخ. لم تشعر في حياتها كلها بمثل هذا الخوف، عندما وجدت نفسها تقف في وسط الغرفة التي كانت تنظر اليها من الخارج منذ بضع دقائق. وكانت ترتجف دون سيطرة على نفسها، ولكنها تجرأت على الاقتراب من النار، وبعد برهة صفق ذلك الرجل الضخم، الذي يرتدي معطفاً اسود واق من المطر، يداه الى جانبيه مرة بعد مرة، وكأنما يفكر بالقيام بشيء عنيف. وكانت المياه تتجمع في بركة حول قدميها. وحمدت ربها، على الأقل، عندما اراحت قدميها من الثقل الذي يحملانه بعد أن اشار اليها بخشونة أن تجلس على الكرسي قرب الحائط البعيد عن دفء النار.

وخلع الرجل معطفه وقبعته وعلقهما قرب الباب، وعندما استدار لينظر اليها، فزعت أكثر من قبل: شعرٌ بلون لبدة الأسد يتدلى دون ترتيب على جبهته العريضة، ولحية نما فيها الشعر لمدة لا تقل عن اسابيع، اعطته قسمات فظة قاسية، ومظهر مزعج، ويرتدي كنزة سميكة من الصوف تلتف على كتفيه العريضتين القويتين، وبنطلون ضيق مثبت على خصره النحيل وعضلات فخذيه. كان أكثر رجل صدمتها رجولته ممن قابلتهم من قبل، ولو لم تكن خائفة جداً، لكانت تأثرت به.

كان هناك بندقية معلقة على الجدار، ولكن شيئاً ما جعلها تعرف أن هذا الرجل لا يحتاج لمثل هذا السلاح، لأنه سدو قادراً على استخدام



يديه الضخمتين إذا اضطر للدفاع عن نفسه. كان يقف أمامها، وساقاه متباعدتان، وابهاميه معلقتين على حزام خصره. عيناها كانتا تنظران الى الباب، ولكنها أدركت أن من الغباء التفكير بالهرب. ورعدت كلماته في وجهها.

- والآن. أجب! ماذا كنت تفعل وانت تتسلل خارج كوخي؟

- أنا... أنا... كنت أبحث عمّن يساعدني؟ سيارتي... سيارتي علقت... بالوحل... قرب النهر.

وتبع ذلك صمت مخيف، وعيناه الحادتان تحدقان بها، ثم تقدم نحوها وانتزع القبعة عن رأسها وتدلى شعرها على كتفيها الرقيقتين.

- يا الهي، أنتِ فتاة! ماذا كنتِ تفعلين بحق كل المقدسات في مثل هذه الليلة؟

- أنا... أنا... لقد ضللت طريقي، وسيارتي الآن عالقة بالوحل قرب النهر، والنهر فائض.

- ما اسمك؟

- كارولين... كارولين أدامس.

واصبحت طباع الرجل أقل حدة الآن، ولكنه لم يفقد حذره، ولم تقدر على الانكسار بانها ما زالت تقاوم مشاعر الخوف عندما سألته برجاء.

- اتعتقد انك قادر على مساعدتي لأخرج سيارتي من الوحل؟ لقد ظننت أن بمقدوري الرجوع على الطريق نفسها التي اتيت منها الى أن أجد طريقاً آخر قد يوصلني الى «مانجيهفونتين».

- هذا لن ينفع. سيكون أمامك جسر آخر لتعبريه قبل أن تصلي الى منعطف يوصلك الى «مانجيهفونتين» وسيكون مستحيلاً عبوره أيضاً.

- اتعني انني عالقة هنا بين جسرين مليئين بالمياه؟

- هذا صحيح.

- ولكن ماذا علي أن أفعل؟

- عليك البقاء هنا.

- اوه... ولكن لا أستطيع.

- ليس لديك خيار آخر. إما أن تبقي هنا، أو تقضي الليلتين القادمتين في سيارتك.

- هل لديك هاتف؟

- لا... الافضل لك أن تدفئي نفسك، سأعود بعد دقيقة.

ولم تحتج كارولين لدعوة ثانية، وركعت على ركبتيها أمام النار مباشرة، وقد نسيت مخاوفها مؤقتاً، وهي ترتجف بسرور بينما كان الدفء يغزو ببطء ثيابها الرطبة. ومدت يديها المتجمدتين نحو النار، ثم مررتهما على شعرها محاولة تجفيفه.

وسمعت أصوات أقدام ثقيلة على الارضية الخشبية من خلفها، ونظرت من فوق كتفها لتجد آسرها، يفرش بطانية، ويعلقها كحاجز بينهما.

- اخلعي هذه الثياب المبللة.

- أنا... لا أستطيع!

- من أجل الله، يا طفلتي، لن تكون هذه المرة الأولى التي أنظر فيها الى تركيبات جسد أنثى.

ولكن عندما نهضت على قدميها، ادار رأسه بعيداً وهو يبتسم، ورفع البطانية الى اعلى. وخلعت حذاءها وثيابها والاحراج قد ملأ وجهها بالاحمرار، ثم أحست بالبطانية وقد التفت حول جسدها المرتعش. وتمنت الآن لو انه يذهب ويتركها لوحدها، ولكنها وجدت نفسها تراقبه وهو يلتقط ثيابها ويعلقها على قضيب حديدي قرب النار. وسقطت مفاتيح السيارة من جيب بنطالها فالتقطها وخرج من الكوخ وهو يلف نفسه بالمعطف.

وجلست كارولين تلتحف البطانية السميكة وقد كورت نفسها على المقعد الكبير قرب النار وبدأت تعيد تقييم موقفها بهدوء قدر المستطاع.



من الواضح انها ضيفة غير مرغوب فيها على رجل سبب لها الرعب، بينما في مكان ما من هذه الاراضي الزراعية الواسعة كان دنيس وذويه ينتظرون عبثاً وصولها. كانت تنتظر بفارغ صبر هذا اليوم لأكثر من سبب. فقد املت أن يساعدها دنيس وذويه بشكل ما على التغلب على بعض المصاعب المالية، ولكن بدلاً من ذلك ها هي عالقة بين ضفتي نهر قد لا تستطيع عبوره قبل بضعة أيام إلا إذا توقف المطر، وفي هذه الاثناء، لا تزال عالقة بمشكلة ماكسويل هيلتون، الذي يطالبها بنفاذ صبر أن تدفع ديونها.

وعادت افكارها الى آسرها. من وما هو؟ بهذه اللحية النامية والثياب الحقيرة يبدو وكأنه متسول، ولكن هناك شيء غير محدد حوله كان يشير الى العكس. انه رجل معتاد أن تطاع أوامره، وهذا يشير الى انه رجل له بعض السلطة. ولكن ماذا يفعل شخص كهذا بالعيش في الارياف وفي هذه الظروف المرعبة؟

ونسيت كارولين خوفها لفترة وخارت قواها باستسلامها للدفء والامان، وكان وقع المطر على زجاج النافذة، وصوت النار وهي تشتعل قد أصبح مهدهداً لها، فأغمضت عيناها وغرقت أكثر بين ثنايا البطانية، وغطت في النوم.

لم تكن تدري كم من الوقت نامت، ولكنها افاقت لسماع صوت الحطب يوضع في النار، عيناها النصف نائمتين تسمرتا بالغريب الطويل الذي يشرف عليها من فوق، وعادت مخاوفها بسرعة، كم مضى من وقت وهو يقف هنا يراقبها؟

- لقد اخرجت سيارتك من الوحل. ووضعتها خلف الكوخ. وجلبت لك حقيبتك، واقترح عليك أن ترتدي ثياباً دافئة.

وخرج من الغرفة واغلق الباب وراءه قبل أن تنهض وتشكره، وبسرعة وضعت بعض الملابس عليها ثم أعادت تقلب الثياب التي كانت قد جفت تماماً بسبب حرارة النار. وعندما دخل مضيفها الملتحي

الغرفة ثانية كانت ترتدي بنطلوناً جديداً وكنزة دافئة، ورتبت شعرها بربطة كذيل الحصان. وقدّم لها وعاءاً من الحساء وعدة قطع من الخبز وضعها على الطاولة أمامها. وقال:

- الافضل ان تشربي هذا قبل أن يبرد.

- شكراً لك. وشكراً لأنك خلصت سيارتي من الوحل أيضاً.

وجلس على الصوفا بمواجهة مقعدها، واشعل غليونه، وبدا وكأنه لا يلاحظ وجودها. لم تكن كارولين تشعر بالجوع كثيراً، ولكن الحساء كان لذيذاً، والخبز طازجاً، ولم تدرك كم كانت بالفعل جائعة إلا بعد أن انتهت من طعامها.

من على مقعده كان مضيفها ينظر اليها من خلف دخان الغليون، عيناه ضيقتان ومسمرتان على وجهها، وقد أقلقها أن يرقبها بمثل هذه النظرات الحادة والمزدرية، ولتضع حداً لقلقها، سألته:

- هل... هل تعيش هنا لوحدك؟

- أجل... هل أنت هنا لأجل قضاء عطلة؟

- نوعاً ما. أجل.

لقد كانت ضيفة بالصدفة، لرجل لم تقابله من قبل، وكل ما تعرفه انه قد يكون مجرماً يختبىء من الشرطة. بداخلها شعرت بتلك العقدة من الخوف لهذه الفكرة. بدا وكأنه مألوف، ولا يبدو كمجرم ابداً، ولكن كيف لها أن تتأكد؟ وقاطع افكارها المضطربة بسؤال.

- انت لا تتكلمين كثيراً؟ انظري... اعجبك هذا أم لا، نحن عالقان هنا معاً إلى أن تستطيعي عبور الجسر، إذاً من الأفضل قطع الوقت، بطريقة اجتماعية معقولة.

- افترض ذلك.

وضرب غليونه على المدفأة واعاد ملأه بالتبغ واشعله. وعندما رضي عن اشتعاله خرق الصمت بينهما.

- ماذا كنت تعنين بقولك عطلة «نوعاً ما»؟



- اعني انني خالية عمل حالياً، فالمؤسسة التي أعمل بها في «كايب تاون» توقفت عن العمل وانا اسعى الى وظيفة اخرى، ولكن...

- اعتقد أن لا وجود لوظائف فارغة في الوقت الحاضر.

- في الواقع ليس كثيراً.

- اين كنتِ مسافرة في هذا الوقت من الليل؟

- كنت سأمضي نهاية الاسبوع مع أهل خطيبي، ولكنني، اخذت منعطفاً خاطئاً على ما يبدو.

- انت لا تلبسين خاتم خطبة.

- كنا سنعلن عن خطبتنا هذه الليلة.

- والآن، بدلاً عن ذلك، ها انت عالقة هنا معي.

اخبريني شيئاً عن أهلك.

- توفيت والدتي عندما كنت طفلة، وتزوج والدي ثانية، ولكن زواجه لم يستمر، ثم مات منذ سنة.

- اليس لديك اقرباء آخرين.

- لا، ما عدا دنيس.

- دنيس؟ أظن انه خطيبك؟

- أجل... خطيبي.

وراقبتها عيناه عن كثب، حتى شعرت بنبضها وكأنه في حلقها، واشاحت بنظرها نحو النار المتقدة في المدفأة الى ان سألها:

- كم عمرك؟

- عشرون!

- يا الهي، انت ما زلت طفلة!

- أنا لست طفلة!

واحمرت وجنتاها بعد أن لاحظت نظراته تتفحص شكلها بعناية.

- حسناً، لنقل انك سيدة شابة على وشك أن تصبح امرأة مكتملة. هل هذا يجعلك مرتاحة؟

وقررت تغيير الموضوع. فسألته:

- كم تظن أن هذا المطر سيستمر؟

- يوم... يومان... من يعلم؟

- أليس هناك مكان آخر أذهب اليه؟

- إذا كنت مستعدة للسير خمسة عشر كيلومتراً عبر الطرق الريفية الوعرة وبهذا الطقس، أجل. هل أنت خائفة مني.

- وهل تلومني؟

ولم يجب، بل حدق بها للحظات طويلة مقلقة قبل أن ينهض على قدميه ويعبر الغرفة الى حيث يعلق البندقية على الحائط. وأخذ قلبها يضرب بسرعة من الخوف، والتقط البندقية واستدار نحوها، ووضع البندقية بين يديها.

- هل يجعلك هذا تشعرين بالامان أكثر؟ انها محشوة وكل ما عليك أن تفعليه، أن تضغطي على الزناد.

وخفضت نظرها الى السلاح القاتل بين يديها، دون أن تعرف لحظتها ماذا تفعل، ثم هزت رأسها وأرجعتها له.

- في الحقيقة لن أعرف كيف استعملها.

- إذاً، يجب أن تثقي بي.

ونظر اليها بهدوء، واعاد البندقية الى مكانها. ولسبب ما أحست بالتحسن في تصرفاته. ولم يعد الى مقعده، بل خرج من الغرفة، واصبحت كارولين لوحدها أمام النار، مع احساس غريب بانه أخذ معه بعض الدفء وهو يخرج. وارتعشت، ونظرت الى الساعة الصغيرة على الرف، انها العاشرة! لقد امضت ثلاث ساعات في كوخ هذا الغريب، ومع انها كانت شاكرة له للدفء قرب ناره، فقد كانت تتملكها شكوك رهيبة حول قضاء الليل تحت سقف واحد معه.

وانتقلت افكارها الى دنيس، وتمنت لو أن هناك طريقة ما تستطيع



الاتصال به، ولكنها كانت امنيات فاشلة، وهي تعرف ذلك. انها عالقة في وضع صعب، لا يمكن الخلاص منه مؤقتاً.

- اتتناولين القهوة؟

كانت غارقة في افكارها حتى انها لم تسمع مضيفها وهو يعود، ونظرت اليه لتجده يمد لها يده بالكوب. وبينما هي تتقبل القهوة منه وتتمتم بالشكر، لم تستطع منع نفسها من التفكير بان اللون الاحمر الذهبي في لحيته على ضوء النار يعطيه مظهراً شيطانياً خطراً. وقررت أن من الممكن جداً أن يكون كذلك عندما يثور، شيطاني وخطر.

- ما نوع العمل الذي تقومين به؟

- السكرتيريا.

- وهل تجيدين عملك؟

- رب عملي يعتقد ذلك.

وشدت اصابعها على الكوب ورفعته الى شفتيها. وحدق بالنار بينما كانا يحتسيان القهوة بصمت، وأحست بشكل ما انه مضطرب بالعمق. ومالت لسؤاله، ولكن قوة خفية منعتها، ومرت الثواني لتصبح دقائق ووجدت اهتمامها يشتد بهذا الرجل الذي انتزعها من تحت المطر الذي كان لا يزال يضرب بقوة على زجاج النافذة.

لم ترغب في ازعاجه، فجلست صامتة في كرسيها، ولكن الاعياء أخيراً اثقل اجفانها، وسقط رأسها على صدرها. وجاءها صوت عميق رجولي يقتحم ضباب الاعياء.

- هل أنت تعبة؟

والتقط حقيبتها، وطلب أن تلحق به. وقادها من غرفة الجلوس، نزولاً عبر ممر قصير، الى غرفة نوم لم تكن مفروشة سوى بالضروريات مثل سرير وطاولة زينة لها مرآة صغيرة فوقها وخزانة ملابس، كلها غير متطابقة. ولكن كارولين احتجت وهي تشعر بالذنب:

- ولكن هذه غرفتك، لا يمكن لي ان...

- اصمتي وافعلي ما أقوله لك.

ووضع الحقيبة قرب السرير، ووقف بكامل طلعته التي تثير في قلبها الخوف.

- سأكون مرتاحاً تماماً على الصوفا في غرفة الجلوس، وهناك قفل في الباب تستطيعين أن تقفليه، إذا ساورتك الظنون حول قضاء الليل تحت سقف واحد معي.

- أنت... أنت، لطيف جداً.

تمتمت بهذا واستدارت الى القنديل الذي وضعه فوق طاولة الزينة وقالت.

- ألن تحتاج الى هذا؟

- يكفيني ضوء النار. الحمام في آخر الممر على اليسار.

وتنفست كارولين الصعداء، وادركت للمرة الاولى كم كانت متوترة، وتوجه نظرها في الحال الى المفتاح، وعبرت الغرفة بسرعة، ولكنها ترددت عندما لمست أصابعها المعدن البارد. أهناك فعلاً حاجة لتقفل على نفسها الباب؟ ولكنه كان قادراً على مهاجمتها في أية لحظة شاء خلال الساعات التي قضتها معه منذ وصولها؟

وفكرت بالامر لحظة، واستعادت اتهامات دنيس لها بانها كثيرة الثقة بالناس، ولكن شعوراً داخلياً كان يقول لها الآن ان لا لزوم لها أن تخاف من الرجل الذي تخلى لها عن فراشه، وابتعدت اصابعها عن المفتاح دون أن تديره.

كانت تعبة جداً، فخلعت ملابسها واطفأت القنديل واندست في الفراش، ولدهشتها أحست بقدميها تصطدمان بزجاجة من الماء الساخن تحت الغطاء، انها لفتة غريبة من رجل بهذا المظهر الخشن، وغطت الابتسامة شفتيها بينما غادرتها آخر قشعريرة خوف. لقد اعتبرها طفلة، وربما من الافضل هذا. وكانت ليلة مظلمة وطويلة، ولكن كارولين نامت بعمق، دون أن تدري أن مضيفها أمضى الليل يعض على غليونه وينظر الى النار مفكراً.



لم يكن الكوخ بدائياً كما تصورت كارولين، واكتشفت هذا في الصباح التالي عندما دخلت الى الحمام، كان هناك سخان غاز يؤمن المياه الساخنة للدوش والمغطس، اغتسلت وارتدت ثيابها، ووضبت الفراش ونظفت الغرفة، ولكن نظرتها كانت تتجه خاصة الى النافذة حيث أزاحت الستائر عنها. لقد توقف المطر اثناء الليل، ولكن السماء ما زالت رمادية مكفهرة، وهكذا زالت آمالها بالمغادرة ذلك الصباح، كان مضيفها في المطبخ، يحضر البيض واللحم فوق طباخ الغاز، ونظر اليها من فوق كتفيه عندما دخلت وقال لها بلهجة آمرة:

- حضري المائدة، ستجدين كل ما تحتاجينه في الخزانة تحت النافذة.

وفعلت كارولين ما قاله لها، وهي تستجيب دون اكتراث للهجته الآمرة، وبعد بضعة دقائق كانا يتناولان طعام الافطار، وراقبته وهما يأكلان، وتساءلت عن ماهية الافكار السوداء التي تتجمع وراء جبينه العريض المقطب. ومع انه غير حليق فلا تستطيع أن تقول انه غير جذاب.

تأثير عينيه، غير المتوقع، كان ينفذ الى عينيها مثل تيار من الحرارة يسير في أعصابها، ولعدة لحظات لم تقدر أن تنظر بعيداً. لقد شعرت به فجأة كرجل وليس فقط مضيفها الاجباري، الذي أرعبها في اليوم السابق، وللمرة الأولى في حياتها شعرت بتوتر جسدي جعل الدم يتدفق بسرعة قصوى عبر شرايينها. وعندما نجحت في النهاية في صرف نظرها عنه، كي تصب القهوة، كانت وتيرة نبضاتها عالية ويداها غير ثابتتين، ولكن ولو لاحظ هذا، فلم يعلق عليه.

- هل تظنين أن صديقك دنيس سيقلق عليك؟

- من الطبيعي أن يقلق. وسيكون غاضباً تماماً عندما يعرف انني كنت المخطئة.

- هل سيكون غاضباً لانك أخطأت أم لتأخير اعلان الخطوبة؟

- الاثنان معاً، كما اعتقد. فهو بكره ان تفشل خططه وتعليماته لي كانت بسيطة للغاية حتى أن طفلاً يستطيع اتباعها.

- أتظنين إذاً انه سيرسل من يبحث عنك؟

- في الحقيقة لا أعلم ماذا سيفعل.

كانت متوترة جداً وعضّت شفتيها بانزعاج، وحاولت تغيير الموضوع.

- هل تقوم بزراعة هذه الارض؟

- أنت لا تحبين البحث بشؤون خطيبك أليس كذلك؟

- لا أمانع في الحديث عن دنيس. أنت من تتجنب دائماً الرد على اسئلتي عنك.

ظنت للحظة انها سألت سؤالاً لا يمكن غفرانه، ثم انبسطت اساريره، وشرح باللهجة الساخرة نفسها التي استخدمها من قبل.

- أنا ناسك غير مهم، ولا أريد أن تضجر طفلة مثلك بقصة حياتي.

هل هناك قصة؟ أم انه فعلاً كما يبدو: مزارع مكافح يسعى الى نهايات مريحة؟ يداه ليستا يدا مزارع، كانتا قويتان، قادرتان، ولكنهما غير خشنتين، وأظافره مقلمة ونظيفة. وقاطع افكارها قائلاً.

- سأنشف الاطباق إذا غسلتيها.

ولفترة من الوقت وضعت افكارها المتحيرة على الرف لتركز على ما تقوم به، ولكن هذا لم يكن سهلاً، بوجود هذا الرجل الواقف بقربها. والذي يثير الاضطراب في نفسها.



# ٢ - ثورة الشك

مر ذلك الصباح بطيئاً على كارولين إذ لم يكن لديها شيء تفعله سوى الجلوس والأمل بأن يتحسن الطقس لتستطيع متابعة رحلتها. صمت مضيفها الكئيب المضجر لم يشجعها على تبادل الحديث معه. وبقدوم منتصف النهار شعرت بالضجر من نفسها فقالت له عندما رأته يحضر حطباً اضافياً للنار.

- افكر بان أذهب والقي نظرة على النهر.

- ستضيعين وقتك سدى. لقد كنت هناك هذا الصباح والنهر لا يزال فائضاً. والجسر مغمور تماماً بالماء، والغبي وحده من يحاول المخاطرة بالعبور.

- أليس هناك شيء استطيع أن أفعله؟ أحضر الغداء أو أي شيء؟

وتطلع اليها، وعيناه المتفحصتان تنظران اليها من رأسها حتى أخمص قدميها، قبل أن يومىء اليها بيده.

- هناك بعض اللحم البارد في البراد، ورغيف خبز في الصندوق. حضري بعض السندويشات والقهوة إذا شئت.

وادار لها ظهره العريض، وحدقت به برهة قبل أن تخرج من الغرفة. لا تستطيع تماماً ان تستقر على رأي حول هذا الرجل، ولكن ربما لا يستأهل ان تفكر به كثيراً.



www.elromancia.com

في وقت لاحق، وبعد أن تناولا السندويشات وشربا القهوة أمام المدفأة لم تستطع منع فضولها فسألته:

- هل تعيش هنا طوال الوقت؟

- ماذا يبدو لك؟

- احياناً يبدو عليك انك متناسب مع هذا المكان، واحياناً لا، فانت تملك لهجة المثقفين.

- وانت كذلك. اخبريني عن والدك.

- والدي كان فناناً حالماً، كان غير واقعي تماماً، ولا يهتم بالمال و...

- وتركك تحملين عبء ديونه أليس كذلك؟

- دبرت الامر.

وهزت كتفيها. ولكنها في صميم قلبها كانت تعرف انها تكذب. فقد كانت غرفتها الصغيرة في منزل مشترك من الدرجة الثانية برهان على هذا. الشيء الوحيد الذي تملك ويدل على الفخامة كان سيارتها الصغيرة. التي اشترتها قبل أن يتوفى والدها، تاركاً لها مسؤولية ديونه.

- كم مضى عليك دون عمل؟

- اسبوعان.. لم تمطر طوال هذا اليوم!

- إذا كنت محظوظة ستتمكنين من الذهاب غداً.

وضحكت كارولين للمرة الأولى، وكانت ضحكة ناعمة مليئة بالمرح جعلت مضيفها ينظر اليها باهتمام وهي تقول:

- تبدو متشوقاً للخلاص مني قدر تشوقي أنا للذهاب!

- انت فتاة جميلة جداً، وأنا رجل، ولست قديساً.

وعندما لاحظ نظرتها المجفلة اليه، أشار برأسه الى البندقية وقال:

- تستطيعين دوماً أن تحملي هذه معك إذا شعرت انك قد تحتاجين الى حماية.

السخرية في صوته جعلتها تحمر خجلاً، والاحراج جعل لسانها



يتوقف عن الكلام لفترة طويلة، ولكن عندما وجدته يراقبها متعمداً من فوق حافة كوب قهوته، تكلمت بأول شيء تبادر الى ذهنها لتخفف التوتر.

- لم تقل لي ما اسمك؟

- اسمي ليس مهماً.

- لقد عرفت اسمي.

وقطع الغرفة ليقف عند النافذة وينظر إلى الخارج. وسمع صوت اشتعال الحطب خلال الصمت الذي ران عليهما، وفكرت للحظة انها اغضبته، ولكنه استدار أخيراً وابتسم لها.

- هل يعجبك اسم جون سميث؟

- لا؛ لا يعجبني، لأنني أعلم انه ليس اسمك الحقيقي. يجب أن أناديك باسم ما، واذا كان عليك ان تبقيه سراً، يتوجب علي أن أختار لك اسماً بنفسي.

- يبدو هذا مثيراً. قولي لي، ما الاسم الذي ستختارينه لي؟

وراقبته بصمت حتى اشعل غليونه، ثم اجابته وهي تفكر.

- انت تذكرني بأسد يطوف حول فريسة دون راحة، لذا أظن انني سأسميك «ليو».

- ليو..!

ردد الاسم وعيناه تضيقان وتلمعان بغرابة، ثم ملأت ضحكته العميقة، أرجاء الغرفة صائحاً:

- كم هو بريء وساذج.

وخرج من الكوخ بعد أن استطاع السيطرة على نفسه من الضحك. وجلست كارولين لفترة طويلة فتساءلت لماذا ضحك كثيراً. هل كان الاسم الذي اختارته سخيفاً، أم هي ودون علم منها اقتربت من الحقيقة؟ لم تستطع تقرير ايهما الاصوب، وأخيراً تخلت عن التفكير وحملت الاطباق الى المطبخ.

كان الكوخ فارغاً وصامتاً دون ذلك الرجل الذي قررت أن تدعوه «ليو». ومر بعد ظهر ذلك اليوم، ودخلت المطبخ ثانية، وأخذت تبحث في الخزائن وفي البراد الغازي، كان يجب عليها أن تفعل شيئاً وإلا ستجن. واخرجت قطعتين من اللحم وبعض الطعام المعلب ثم بدأت بتحضير طعام المساء.

عندما عاد ليو أخيراً الى الكوخ، قبل حلول ظلام ذلك المساء، كانت كارولين قد استطاعت بنجاح تمويه واقع انهما سيتناولان طعاماً جله من المعلبات، وشعر بالفخر عندما دخل مضيفها المطبخ وتنشق رائحة الطعام بتقدير واهتمام.

ـ لقد تصرفت وكأنك في بيتك، كما أرى.

وجذب كرسياً وجلس الى المائدة، وتطلعت اليه كارولين.

ـ أرجو أن لا تكون ممانعاً ولكني كان علي فعل شيء ما لأشغل نفسي.

ولم يرد، ولكن حاجباه ارتفعا بدهشة عندما وضعت الطبق أمامه وصبت له البطاطا المعلبة المغلية بمسحوق اللحم المعلب، وتبع ذلك، الجزر المقطّع والفطر واللحم، وعندما جلست قبالته، هز رأسه ببطء وابتسم.

ـ هذا جيد، انه ليس سيئاً.

ـ أنا مسرورة لأنه اعجبك.

وتبسمت له بقليل من الخجل، ثم لم يتكلم أحد منهما الى ان انتهت وجبة الطعام، وصبت القهوة، حيث بادرها قائلاً:

ـ اعتقد أن خطيبك رجل محظوظ لأنه وجد فتاة مثلك.

ـ اظن انني أنا المحظوظة لأنني وجدت شخصاً مثل دنيس وأظن انه لن يخذلني ابداً.

ـ تقصدين كما فعل والدك؟

ازعجتها ملاحظته وقالت على الفور مدافعة:



ـ ارجوك ان لا تسيء فهمي. لقد أحببت والدي كثيراً على الرغم من علمي بفشله.

ـ وهل تحبين دنيس بالطريقة نفسها؟

ـ حسب ما أعرف، دنيس ليس فاشلاً.

ـ كل انسان أمامه اشياء يفشل بها. وانصحك أن تعيدي النظر بهذا الرجل الذي تنوين الزواج به.

ـ سخريتك هذه لن تجعلني أغير رأيي.

ـ ربما لا، ولكن الحقيقة قد تدفعك لاعادة النظر.

قوله هذا أزعجها لفترة، ولكن، وكما في السابق، تخلت عن محاولتها لفهم هذا الرجل غير العادي. تلك الليلة، قرب النار، وجدت نفسها تفكر بدنيس بقلق أقل، وأخذت تفكر أكثر بالرجل الجالس على مسافة منها. جلس يدخن غليونه وهو ينظر الى النار، كان رجلاً غامضاً، لم تقابله سوى بالامس، ومع ذلك هناك شيء ما حوله يجذبها اليه، نوعية خاصة من الجاذبية كانت تخيفها بقدر ما كانت مثيرة بشكل غريب.

وقالت لنفسها ان هذا كله جنون، ووقفت من مقعدها، وركعت أمام النار، بهذه الطريقة لن تكون مضطرة للنظر اليه، ولكن هذا لم يزحزح الواقع بانها كانت تحس به، بكل عصب وعرق ينبض فيها.

ـ هل تفتقدين لعشيقك؟

ـ دنيس ليس عشيقي!

ـ ومنذ متى تعرفينه؟

ـ منذ سنتين.

ـ ولم يطارحك الغرام؟

ـ نحن الاثنان سعيدان بانتظار الزواج.

ـ استطيع التكهن بان حياتك مع دنيس ستكون مملة ومتزمته، لأنه حتى الان لم ينجح في ايقاظ ولو القليل من الرغبة فيك.

ـ هذا ليس شأنك.



www.liilas.com

وشعرت بالغضب، ووقفت على قدميها، ولكن اصابعه أمسكت برسغها بسرعة فائقة وجذبها لتعود الى ركبتيها عند قدميه.

- هل تحبينه؟

- بالطبع أحبه!

وحاولت تخليص رسغها من قبضته، وقد ارتعبت من نظرة عينيه، وقالت.

- انه لطيف، ويمكن الاعتماد عليه، ولن يفعل شيئاً قد يؤلمني.

- أي انه في الواقع يملك كل شيء لم يكن يملكه والدك.

- ليس لوالدي دخل بالموضوع.

- اشك في هذا!

وضحك بخشونة، وترك رسغها وأمسك بكتفيها بقوة حتى انها استطاعت ان تشعر بحرارة يديه من فوق الكنزة التي ترتديها.

- أراهن انك لم تحبيه في الواقع بل لأنه جيد، ولطيف ومن الممكن الاعتماد عليه، ولشخصيته.

- ليس لديك الحق لأن تقول هذا، فأنا أحب دنيس، وسأتزوجه.

- الحب! انها كلمة مبالغ فيها، ولكن تأكدي جيداً من مشاعرك قبل أن تتخذي هذه الخطوة الخطيرة.

- ولكنني متأكدة!

- حقاً؟

- نعم.. أنا متأكدة!

وجوده، كان يملأ المكان من حولها، ويغزو أطراف اصابعها ويثير احساسها حتى شعرت بنفسها ترتجف بين يديه وهي جاثية أمامه. لم تكن قادرة على سحب انظارها عنه، ووقعت ما بين الخوف وبين الاثارة الرهيبة.

- هل ترتجفين لأنك خائفة مني، أم ربما هناك سبب آخر؟

وخفضت رموشها الذهبية لتخفي الارتباك في عينيها، وأضاف وبعض لمحات الضحك في صوته.



- لنكتشف الامر، أتسمحين؟

وسحبها لتقف بين ركبتيه، وكأنما هي في حالة غيبوبة، وسمحت له بأن يعانقها، عناقاً خفيفاً ناعماً، ولكن هذا العناق اشعل شيئاً في أعماقها جعل نبضاتها تتسارع.

- يبدو أن دنيس ليس بارعاً في فن العناق.

قوله الساخر هذا جعلها تتراجع بحدة، ولكن ذراعاه كانتا ملتفتان حولها بقوة. حتى شعرت بالألم في صدرها. وتنبهت للخطر الذي قد يحدث، وحاولت ان تبعد وجهها عنه، ولكن لحيته لامست خدها. وعاد الى العناق.

لم يحدث ان أحست كارولين بمثل هذه المودة، ولم تكن مستعدة أبداً لهذه المشاعر التي غمرتها، حتى انها شعرت باطرافها تتجمد. وتمسكت يداها بضعف بكتفيه في مجهود لتهدئة نفسها، ولكن لمسه بهذه الطريقة جعل نوعاً جديداً من الاثارة يطوف بها. لم تعد تقدر على التفكير بوضوح، فعندما شعرت للمرة الأولى بلمسته الدافئة حولها أحست بمشاعر، مجنونه ومربكة ومثيرة.

عندما تركها ليو في النهاية، كانت مقطوعة الانفاس، والدم يشيع في وجهها، غير قادرة تماماً على النظر اليه، وقلبها يضرب بشدة بين ضلوعها. ونهضت، على قدميها وهي ترتجف، وهكذا فعل هو. ويداه تمسكان بها لتهدئتها وهي تترنح، وفجأة أخذت تقاوم رغبة مجنونة لأن ترتمي على صدره ثانية وتحس مرة أخرى بقساوته الساحقة.

وبكل البراءة فيها، شعرت بالخطر من اطالة هذه اللحظات، وابتعدت عنه، وقالت بصوت غير ثابت:

- أظن من الأفضل أن آوي الى الفراش.

- هل هذه دعوة لي؟

احمر لونها أكثر، ولكي تخفي احراجها قالت بغضب «أظن انك تسليت بي بما يكفي».



www.elromancia.com

لم يحاول ايقافها عندما خرجت من غرفة الجلوس ولكنها احست بعينيه تثقبان ظهرها الى ان ابتعدت عن انظاره. خلعت ملابسها في الظلام واندست في الفراش، ولكن النوم جفاها، وجالت أفكارها تتذكر تفاصيل التجربة التي مرت بها، بين ذراعي رجل لم تعرف حتى بوجوده حتى يوم أمس. وشعرت بالخجل لتفكيرها بما سمحت له أن يفعل بها، ولم تقدر أن تتصور ما قد يكون يفكر به الان عنها، ولكنها كانت كالمسيرة وغير قادرة تماماً على التفكير المنطقي.

واجبرت نفسها على التفكير بدنيس، عن حبها له، وكيف ان صداقتهما نمت بحرارة الى علاقة مرضية. الزواج منه سيوفر لها السعادة الهادئة التي كانت دوماً تتوق اليها، واقنعت نفسها بثبات، ان تغلق الباب على الشكوك غير المرغوب بها. هذا الجنون الذي مرت به بين ذراعي رجل آخر كان شيئاً من الافضل ان تنساه، ووضعت اللوم لما حدث على الظروف التي جمعتهما معاً.

واستغرقت في النوم، ولكن احلامها كانت مرتبكة ومشوّشة. وشعرت بالارتياح عندما استيقظت في الصباح لترى الشمس تسطع عبر نافذة غرفة النوم. وتحول الريف المعتم الى جنة خضراء ذهبية، وارتدت ملابسها وحضرت حقيبتها بسرعة استعداداً للمغادرة.

كان ليو صامتاً عند تناول طعام الفطور ما عدا تاكيده لها ان النهر قد انخفض كفاية لتستطيع عبوره. ولم يقل شيئاً الى أن حمل لها الحقيبة الى السيارة.

ـ لقد كان خزان الوقود في سيارتك فارغاً، وقد وضعت فيه عشر ليترات، قد يوصلك هذا الى حيث ترغبين.

ـ شكراً لك.. أنت.. لقد كنت لطيفاً جداً.

ـ هل كنت لطيفاً حقاً؟

ـ هل لي أن أدفع ثمن الوقود؟

ـ انسي الامر.



ووضع حقيبتها في المقعد الخلفي للسيارة بغضب وفتح لها الباب.

ـ حان الوقت لتذهبي في حال سبيلك.

استعجاله الواضح للمغادرة كان بطريقة ما يؤلمها، ولكنها أخفت مشاعرها خلف ضحكة وقالت:

ـ أجل، أنا متأكدة ان الوقت قد حان. أمامي طريق طويل، ولدي الكثير لأشرحه عندما أصل.

ـ لا انصحك ان تقولي لخطيبك أين أمضيت هاتين الليلتين الاخيرتين.

ـ ولم لا؟

ـ قد لا يفهم الوضع.

ـ أنا لست بارعة في سرد الاكاذيب، وأظن من الأفضل أن أقول كل شيء.

ـ يعجبني ذوقك في الصدق. ولكن هل تنوين اخباره عما حدث الليلة الماضية أيضاً؟

ـ لا، أعتقد لا. هذه الحادثة الأفضل نسيانها.

ـ وهل ستتمكنين من نسيانها؟

السؤال أجفلها، ولكنها أخفت ارتباكها بسرعة، ومدت يدها اليه عبر نافذة السيارة المفتوحة.

ـ وداعاً... ليو. في الحقيقة أشكر لك تقديم الملجأ لي عندما كنت احتاجه، شكراً لك.

وترك يدها، ثم أعطاها بطاقة صغيرة بيضاء كُتب عليها اسم ورقم هاتف.

ـ خذي هذه معك. وعندما تعودين الى «كايب تاون» أقترح ان تتصلي بهذا الرجل. سيجد لك وظيفة.

وقرأت الاسم المكتوب على البطاقة بصوت مرتفع.

ـ هارولد برايس، هل هو صديق لك؟



www.elromancia.com

- قريبي من بعيد، هذا كل شيء. ولكنه سيساعدك.

وبعد دقائق كانت تقود سيارتها عبر المسلك الوعر نحو الطريق. واستطاعت رؤيته عبر النافذة الخلفية ويداه في جيوب بنطلونه. انه من الجنون أن تشعر هكذا، ولكنها شعرت وكأنها تترك جزءاً حيوياً منها هناك.

في ضوء النهار اكتشفت كارولين المكان الذي أخطأت به خلال العاصفة ووجدت الطريق الصحيح دون صعوبة، وكانت الساعة قد قاربت العاشرة والنصف عندما أوقفت سيارتها أمام المنزل الريفي لعائلة ليندساي، ولم تكد تهبط من السيارة حتى سارع دنيس ووجهه مكفهر بالغضب الى جانبها.

- اين كنت بحق السماء؟

وأمسك بكتفيها وكأنه يريد أن يهزها بعنف.

- كنت...

- لقد كدت أجن من القلق. لقد اتصلت بكل نقاط الشرطة ما بين هنا و «كايب تاون» ولكن لم يساعدنا أحد منهم.

- سأشرح لك الامر يا دنيس.

- تعالي وقابلي أهلي أولاً. ستشرحين الأمر لاحقاً.

بدا السيد والسيدة ليندساي لطيفين في الظاهر، واستقبلا كارولين بما بدا انه حرارة حقيقية. وارشدوها الى غرفتها وتركت لها الفرصة لتستعيد نشاطها بعد الرحلة. ثم قُدم الشاي في غرفة الجلوس. وبينما كانوا يشربون الشاي، سنحت لكارولين فرصة شرح سبب فشلها في الوصول يوم الجمعة.

وخيم الصمت على الغرفة بعد أن انهت كلامها. ولكن عندما نظرت الى دنيس، سمعت صوت والدته يقول:

- هل تعنين أنك أمضيت ليلتين ونهار كامل مع ذلك... ذلك الرجل، وانك لا زلت لا تعرفين من هو؟



وحولت كارولين انظارها الى والدة دنيس الجالسة تجاهها.

- لم يقل لي ما اسمه، ولم أشعر بالحاجة للإصرار على التعريف بنفسه.

- قد يكون مجرماً، أو شيء اسوأ.

- أنا متأكدة انه ليس كذلك.

وقالت المرأة المسنة:

- اتمنى يا عزيزتي، ان لا تعيدي هذه القصة أمام أي كان.

- ولم لا، سيدة ليندساي؟ لم يحدث شيء لأن أكون خجلة منه.

- والدتي تعني...

وقاطعته والدته بجفاء قبل ان تستدير الى كارولين.

- استطيع التكلم بنفسي يا دنيس. نحن معروفين جداً في هذه المقاطعة، واذا انتشر الخبر بان زوجة ولدي المستقبلية أمضت هذا الوقت الطويل مع رجل غريب في كوخه، مهما كانت الظروف، فلن نتمكن من النظر في عيون الناس ثانية.

- ولكن يا سيدة ليندساي أنا...

- نحن نصدقك بالطبع.. أن شيئاً... لم يحدث بينك وبين هذا... الـ... الرجل.، ولكنك تعرفين كيف ينظر الناس الى مثل هذا الوضع. فالناس يتمتعون بسرد الاشاعات، ولن يترددوا باضافة بعض الذيول على قصتهم، التي قد تكون غير صحيحة اطلاقاً.

وتدخل دنيس وهو يربت على ذراعيها.

- والدتي على حق يا عزيزتي. من الافضل ان لا تذكري هذا الموضوع ثانية.

- إذا رغبت انت في ذلك يا دنيس.

- جيد.. والآن دعونا نتحدث عن شيء آخر.

ووضع يده في جيبه، وقبل أن تدرك ماذا يحدث أخرج خاتماً ماسياً ووضعه في أصبعها. وعلى الرغم من تهنئة أهل دنيس لهما، الا انها



www.elromancia.com

أحست انهما لم يعجبا باختيار ولدهما. وقدمت الوالدة بعض الشراب للاحتفال بهذه المناسبة. وكان كل شيء يبدو جميلاً في الظاهر، ولكن كارولين أحست فجأة برغبة غير منطقية لأن تعود الى الكوخ، وتشارك مضيفها الملتحي السندويشات أمام نار المدفأة.

وأخذها دنيس في جولة ليريها المزرعة، ولكنه كان ساكتاً على غير عادته، وطال السكوت بينهما. وعانقها مرة واحدة تحت ظل شجرة «أكاسيا» ولكنه كان بارداً، ولم تتجاوب معه.

ذلك المساء، وبعد أن آوى أهله الى الفراش، واصبحا لوحدهما قرب نار غرفة الجلوس، أجلسها على الصوفا بجانبه، وارتمت كارولين بين ذراعيه بكل ارادتها، ولكن بعد برهة أحست بانهما فشلا معاً في خلق جو حميم ودافىء بينهما.

- كارولين، بالنسبة لذلك الرجل...

وابتعد عنها واشعل سيجارة.

- أعتقد اننا لن نناقش الموضوع ثانية.

- أعرف... ولكن. لم يحدث شيء، أليس كذلك؟

وامتلأت كارولين بالغضب والاحباط.

- لم أنم معه، إذا كان هذا ما تريد معرفته.

- لقد كنت أسأل فقط. ولا لزوم لأن تغضبي.

- لست غاضبة. بل انني اشدد على واقع، انني بالرغم من نومي في فراشه، الا انه لم يشاركني فيه.

- هل كنتما لوحدكما طوال الوقت؟

- معظم الوقت، أجل.

- أرجو ان لا يكون قد طلب منك شيئاً غير شريف؟

تصرفه المشكك بعث الغضب فيها، ولم تقدر على السيطرة عليه. واصبحت عيناها مشتعلتين بالغضب عندما استدارت لتواجهه.

- الطلب الوحيد كان ان لا أخبرك أين كنت، وقد بدأت أعتقد انه على حق!.



- ولم يقترح عليك أن تكذبي علي إذا كان لم يحدث شيء بينكما؟

ونظرت اليه، وتجنب النظر اليها لسبب ما، وتساءلت في نفسها عن النقص الغريب في الدفء داخلها لمنظر قسماته النحيلة الوسيمة. وارعبها ذلك. هذا البرود لرجل تحتاج الى مساعدته وتفهمه بائسة في هذه اللحظات. كانت أملت في أن تناقش معه مشاكلها المالية، ولكن في ظل هذه الظروف، يبدو من الافضل وضع هذه الفكرة جانباً.

وادارت الخاتم الماسي في أصبعها وسألته بهدوء:

- الى ماذا يقودنا كل هذا يا دنيس؟

- اننا قادمان على الزواج، ويجب أن أكون متأكداً منك، هل هذه جريمة؟

- ما تقوله في الواقع انك تود أن تتأكد أن رجلاً لم يمسني حتى الآن.

- لا، ليس بهذه الفظاظة، ولكن... أجل.

- الا تثق بي؟

- طالما ظننت انني قادر على الوثوق بك في الماضي.

- وانت لا تظن أن هذا ممكن الآن؟

- اللعنة، كارولين لا يمكن لك أن تلوميني لأنني أريد أن أكون متأكداً؟ فهناك سمعة عائلتي. ووالدتي تقول انها متأكدة بانك تخفين شيئاً عنا.

- أمك على حق. ما لم أقله لك هو انني وجدت مضيفي الاجباري شخصاً مثيراً وفاتناً، وهناك شيء آخر أيضاً. لقد حضنني الليلة الماضية، وسأكون كاذبة إذا قلت بانني لم اتمتع بهذا العناق.

واخيراً. قيلت الحقيقة! ويستطيع دنيس أن يفعل بهذه المعلومات ما يشاء، وبدأت التفكير بيأس وهي تنظر الى يديها وترف عينيها بسرعة لتكبح الدموع عن التساقط.

- عانقك؟

- أجل اعترف بهذا، هذا ما قلته.



www.elromancia.com

- يا الهي. ماذا بعد سيظهر لي، اتساءل؟
- فقط هذا.
واخرجت الخاتم من اصبعها بحزن ووضعته على الصوفا بينهما.
- لا أظن بامكاني الزواج منك في هذه الظروف.
- كارولين... لست جادة أليس كذلك؟
- أخشى أن أكون جادة.

ورفعت وجهها اليه، وتساءلت في تلك اللحظة لماذا عليها ان تقارن بين ضعفه وقوة ذلك الرجل الذي شاركته الكوخ في تلك العاصفة. كانت تنظر الى دنيس، الرجل الذي كانت واثقة انها تحبه، ولكن هل لزمها عناق رجل آخر لتعرف انها على خطأ؟ دنيس لم يكن لها، ومهما يكن الألم الذي يسببه ادراك هذا الامر في تلك اللحظة، شعرت انها مع الوقت ستتوالف مع قرارها هذا.

- من الواضح ان سمعة عائلتك أكثر أهمية لك مني. ومن يعرف متى سيحاول أحدهم احراجك بنبش هذه الحادثة الصغيرة في ماضيّ.
- ولكن...
- دعنا لا نناقش الموضوع أكثر.
وانتصبت واقفة ونظرت اليه بحزن.
- لقد انتهى الامر، وسأغادر غداً صباحاً.

ولم يلحق بها دنيس، وكانت سعيدة لانه لم يفعل، إذ لم تعد تتحمل أكثر مما حصل هذا اليوم، كما ان الدموع كانت ستنهمر على وجنتيها. سيكون عليها مواجهة المستقبل وحيدة الآن، وبينما تسيطر عليها هذه الفكرة الرهيبة، كانت قد خلعت ملابسها واندست في فراش غريب آخر.

لم يتغير الوضع لكارولين في الصباح التالي، وعندما انضمت الى دنيس واهله على مائدة الافطار، كان واضحاً لها انه أعلمهم بما حدث. ولم يشيرا الى الموضوع، ولكن كان واضحاً لكارولين أن السيد والسدة



ليندساي كانا مرتاحين. وعندما رافقها دنيس الى سيارتها توسل اليها قائلاً:

- كارولين، الن تعيدي النظر بقرارك؟ لقد كنا معاً متوترين ليلة أمس، الا تظنين هذا؟

ساعات الليل التي مرت بها دون نوم جعلها باردة وغاضبة من نفسها، لأنها كانت من الغباء بحيث انها لم تنظر عبر نفسية هذا الرجل التي كانت تعتمد عليه، وها هي تنفس بعض الغضب عليه الآن.

- أظن انني رأيتك ليلة أمس على حقيقتك تماماً. فانت مغرور فارغ، ومتشبث برأيك، وقصير النظر بشكل مقرف. ولا أظن انني أستطيع قضاء بقية حياتي أحاول التوالف مع طرازك الصارم في الحياة.
- ولكننا نحب بعضنا.
- لا يا دنيس، لم يعد بيننا حب أكثر من تلك العلاقة الخالية من العاطفة والشعور التي مرت بيننا. لقد كنت صديقاً طيباً، وهذا كل شيء في الواقع. اشكر لي أهلك على ضيافتهم، زأنا آسفة لأن الأمور انتهت بهذه الطريقة.

للمرة الثانية خلال أربع وعشرين ساعة، كانت تقود سيارتها مبتعدة عن رجل، ولكنها هذه المرة لم تكن متوجهة لتبني على آمال غير مستقرة وعلى احلام. كانت متوجهة نحو الواقعية، الى عبء قد لا تستطيع تحمله، والفكرة هذه لوحدها لم تكن سارّة.

وخفضت كارولين سرعة السيارة عندما اقتربت من الطريق المؤدية الى الكوخ. كانت متشوقة دون سبب لرؤية ليو لمرة واحدة فقط، ولكنها قاومت هذه الفكرة فوراً، لرهبتها من سخريته بها، وقادت السيارة بكامل سرعتها الى الامام نحو كايب تاون. لن تقدر على الاعتماد سوى على نفسها في المستقبل، ويجب أن تستفيد قدر طاقتها من أي وضع يستجد.

# ٣ ـ اختيار كارولين

اتصلت كارولين بوكالة التوظيف فابلغوها عدم وجود وظائف خالية تناسبها كسكرتيرة. وتنهدت عالياً، وأدارت قرص الهاتف على الرقم المسجل على البطاقة الصغيرة التي اعطاها اياها ليو. وجاءها الصوت من الناحية الاخرى:

ـ صباح الخير، هنا شركة بروتي للهندسة البحرية.

ولكن لسبب مجهول فقدت جرأتها في تلك اللحظة واعادت السماعة مكانها. «بروتي للهندسة البحرية». لقد سمعت بهذا الاسم من قبل. انها شركة خاصة تقوم ببناء وتصليح أي شيء بدءاً من زوارق التجذيف الى أكثر اليخوت فخامة. وفاجأها الامر وحيرها. فيما تبقى من ذلك الصباح لم تكن قد قررت شيئاً حول الاتصال بالسيد هارولد برايس صاحب تلك الشركة. كانت وكالة التوظيف قد وعدتها بالاتصال بها لحظة ايجاد عمل لها، ولكن كيف ستتحمل الانتظار الى ما لا نهاية؟

في زاوية من غرفة الجلوس، في المنزل المشترك، حيث تسكن، طلبت كوب شاي وسندويشاً للغداء، وعندها فقط قررت ان تذهب لمقابلة ذلك الرجل المسجل اسمه على البطاقة. بعد نصف ساعة واجهت حارساً يقف على باب شركة بروتي للهندسة البحرية. وسألها عن عملها هنا وتطلع بفضول مفتشاً سيارتها الاوستن، ثم اتصل بالسيد برايس وسمح لها أخيراً بالدخول. ودلتها الى الطريق لوحات



كتبت عليها ارشادات واضحة نحو بناء حديث يحوي المكاتب.

وفي الداخل ارشدها الموظفون الى مكتب في الطابق الثاني. ونظرت اليها سكرتيرة هارولد برايس بحدة من وراء آلتها الطابعة، وابتسمت عندما دخلت كارولين المكتب.

ـ هل أستطيع مساعدتك؟

ـ هل من الممكن ان ارى السيد برايس؟

ـ بسبب وظيفة؟

ـ صحيح.

ـ لا أظن أن لدينا وظائف خالية في الوقت الحاضر. ولكنني سأتأكد من الامر مع السيد برايس.

والتقطت المرأة الهاتف وضغطت على الزر المطلوب.

ـ سيد برايس، عندي هنا شابة تسأل ما إذا كان لدينا وظائف خالية.

وتوقفت لحظة ثم نظرت بسرعة الى كارولين.

ـ ما اسمك؟

ـ آدامس.. كارولين آدامس.

واعادت المرأة ذكر الاسم عبر الهاتف، وارتفع حاجباها لدى سماعها الرد ووضعت السماعة مكانها.

ـ سيراك السيد آدامس في الحال.

وأشارت الى الباب المخطط عليه كلمة «المدير العام».

ـ تفضلي بالدخول.

وابتلعت كارولين ريقها متوترة، ودخلت، وأغلقت الباب خلفها، واستدارت لتواجه الرجل الاصلع الرأس الذي وقف خلف طاولته.

ـ ارجوك اجلسي انسة ادامس.

وخلع نظاراته الداكنة واشار بها الى الكرسي في الجهة المقابلة من الطاولة.

- فهمت انك تسعين لوظيفة.

- نعم، بالفعل. هل عندكم وظائف خالية؟

- لدينا وظيفة في قسم المحاسبة، تتطلب الطبع على الآلة الكاتبة اضافة الى عمل محاسب. اتظنين بامكانك ان تعملي هناك.

- اوه... أجل.. اعني انني استطيع القيام بهذا العمل.

- هذا جيد...

- لدي اوراق تعريف عن عملي هنا، إذا رغبت في النظر اليها.

- لن يكون هذا ضرورياً. يمكنك البدء بالعمل غداً عند الثامنة صباحاً.

وكتب شيئاً على ورقة واعطاها لها.

- خذي هذه الى أحد الموظفين وسوف يسجل كل ما يختص بك اضافة الى بحث الراتب معك وما الى ذلك. وسوف تصدر لك بطاقة تعريف مؤقتة. سكرتيرتي ستدلك على طريقك.

شعرت كارولين بانفاسها تنقطع وهي تقف. فهذه أغرب مقابلة عرفتها أبداً. ولكنها لن تتساءل عن السبب الذي دفع الرجل لتوظيفها بهذه الطريقة الغريبة، وابتسمت له.

- شكراً لك سيد برايس.

- لا تشكريني آنسة ادامس. اقوم بوظيفتي فقط قدر امكاني.. والباقي متوقف عليك.

وغادرت كارولين مكاتب الشركة بعد أقل من نصف ساعة وتقطبية متحيرة على وجهها. هل تم توظيفها فعلاً أم أن هذا نوع من الاحلام المزعجة ستستفيق منه فوراً؟ وقرصت نفسها للتأكد، ثم شعرت بالسعادة لحظها الطيب.

عند نهاية اسبوعها الأول في الشركة كانت قد نسيت مقابلتها الغريبة مع المدير. وكانت عطلة نهاية الاسبوع أمامها. وعندما وصلت لتختلي في غرفتها الصغيرة. أدركت للمرة الأولى كم هي بشوق لدنيس. كان



أولها أن تفكر به، وبالسعادة التي كان من الممكن أن تشاركه بها. ولكنها لن تقدر أن تتزوجه الآن، ليس بعد الطريقة التي تصرف بها هو وذووه عندما علما ببقائها الاجباري في ذلك الكوخ النائي مع رجل غريب. لقد رأت دنيس على حقيقته، وعلى الرغم من انها لا تقدر على التخلص من مشاعرها نحوه تماماً، إلا انها عرفت انها لن تقدر على العيش مع رجل اظهر لها بوضوح انه لا يثق بها. وتحولت افكارها الى الرجل الذي ايقظ بعناقه لها مشاعر لم تتخيلها من قبل وتسارعت نبضات قلبها لهذه الذكرى. من غير المحتمل ان يلتقيا ثانية، إلا إذا سافرت هي الى كوخه، وطبعاً لن تفكر أبداً بالقيام بهذا العمل، ولكن..!

وتحاملت على نفسها وقررت الاستحمام قبل أن تنفد المياه الساخنة. انه أمر غريب، هذا الانشغال بأمر رجل بالكاد تعرف عنه شيئاً، ولكن وجهه الملتحي اقتحم افكارها عدة مرات في الاسبوع الماضي حتى انها شعرت بانه يطاردها.

لم تكد كارولين تجلس الى طاولتها يوم الاثنين، حتى دخلت أمرأة رشيقة القوام ذات شعر أحمر الى المكتب وتقدمت الى الطاولة المحاذية لطاولة كارولين.

- مرحبا، أنا مارغري دويل. انت جديدة هنا!

- نعم. أنا كارولين آدامس.

وجلست مارغري الى كرسيها خلف طاولتها متنهدة.

- لقد عدت لتوي من عطلة، وصدّقيني، لست مستعدة للعمل بعد.

- سيمضي علي وقت طويل قبل أن أفكر بالعطلة، لم يمضي علي سوى اسبوع هنا، ولا زلت أحاول ايجاد طريقي في المكتب.

- ابقي قريبة مني يا عزيزتي، وسأعلمك كل ما يجب أن تعرفيه حول العمل.

أجبتها كارولين على الفور، وخلال النهار اكتشفت أن مارغري دويل هي خزان ضخم للمعلومات بكل ما يتعلق بالعمل اضافة الى الناس الذين يعملون هناك. وخلال تناول الغداء في مطعم الموظفين قالت كارولين:

ـ لقد سمعت أحدهم يناديك بالسيدة دويل، ولكنك لا تلبسين خاتماً.

ـ انني مطلقة، ولا أنوي ان اعلق في المصيدة مرة أخرى.

وتجاوزت كارولين الموضوع بسرعة الى آخر.

ـ هل كنت تعملين هنا منذ زمن طويل؟

ـ لقد كنت أعمل هنا قبل أن يتولى «الاسد» العمل من والده قبل خمس سنوات.

ـ الاسد؟

ـ اسم رب العمل هو غوستاف دوليو. دوليو تعني الاسد.. افهمت؟

ـ اوه.. أجل. لم أقابله بعد، لا أظن.

ـ ولن تقابليه، فللأسد مدخل خاص للبناء، ومصعد خاص يأخذه رأساً الى عرينه في الطابق السادس. ونادراً ما يقابل أحداً سوى رؤساء الاقسام.

ـ اتعنين انك لم تشاهديه من قبل؟

ـ اوه... لقد شاهدته مرتين يقود سيارته الجاكوار الفضية، وشاهدت صوره في الجرائد عدة مرات. ولكنني لم أقابله شخصياً. فهو منطو على نفسه، «واعتقد انه جبار عندما يغضب.

ـ تجعلينه يبدو مخيفاً.

ـ انه عادل جداً بتعامله مع الموظفين، ولكن لا يوجد انسان ما لا يرتعد عندما يزأر الأسد.

كانت نهاية الشهر الأول مهمة في شركة ب. هـ. ب (كما يدعوها



الجميع) وكانت مجبرة مرة أخرى على توجيه انتباهها لمشاكلها. ووصلت الى منزلها في احدى الامسيات ليقال لها ان هناك زوار ينتظرونها في غرفة الجلوس الصغيرة الخاصة، وشعرت بالخوف يجمد الدم في عروقها عندما شاهدت رجلاً في بدلة رمادية وقميص أحمر ينهض من مقعده المواجه للباب.

ـ سيد هيلتون!

ـ مساء الخير يا عزيزتي. تبدين فاتنة، كالعادة يا كارولين.

ـ لم انت هنا؟

ـ تعرفين الجواب كما أعرفه أنا. فأصدقائي لم يعودوا سعداء من الترتيبات التي قدمناها لهم ليستعيدوا مالهم بدفعات صغيرة. يريدون المبلغ كاملاً، ونقداً.

ـ لقد قلت لك سابقاً سيد هيلتون، احتاج لوقت أطول. فسبعة الاف مبلغ كبير و...

ـ لم لا تعتبرين بان من المستحيل عليك الدفع؟ ليس لديك ما تقدمينه كضمان يا عزيزي، وهنا المشكلة ولكنني أتيت هنا اليوم لاعرض حلاً.

ـ حل؟ أي حل؟

وأخذ وقته في اشعال سيجار، ويداه النحيلتان الصغيرتان تغطيان الولاعة، ثم نفخ غيمة من الدخان وراقبها من عينيه الضيقتان الكريهتان.

ـ ساعطيك اسبوعين آخرين. وإذا لم تدبري المبلغ بحلول ذلك الوقت، سأدفع الدين عنك.

ـ ستدفع عني؟ اتعني ستدفع المبلغ ثم تسمح لي أن أعيده اليك بدفعات شهرية كما كنت أفعل في الماضي؟

ـ لا يا عزيزتي كارولين. لن أطالبك بالمبلغ.

ـ ماذا تعني؟

ـ هناك وسائل أخرى تستطيع فتاة جميلة مثلك أن تدفع لرجل مثلي.

وانطلقت الثورة بداخلها حتى استقرت في حلقها وقد هزتها على الفور. ثم صرخت بغضب.

ـ اخرج من هنا!

واختفت ابتسامته على الفور، واصبحت تصرفاته عدائية.

ـ سأذهب، ولكن لا تنسي، أمامك اسبوعين لتجدي المال. وإذا لم تجديه سأدفع وسأحصّل المال منك بطريقتي.

وشعرت كارولين بالاعياء في داخل كيانها بعدما اقفل الباب وراءه واختفى، وبقيت مكانها إلى أن استعادت السيطرة على نفسها، ثم صعدت إلى غرفتها.

اسبوعين.. اسبوعان لتتوسل، تستقرض، أو تسرق سبعة آلاف جنيه والسماء وحدها تعرف كيف يمكن لها أن تدبر المبلغ.

خلال الاسبوع الذي تلا زيارة ماكسويل هيلتون لها، دفعها الخوف للتقدم الى عدة بنوك وشركات مالية ولكنهم رفضوا اعطاءها المبلغ معتذرين ولكن بحزم. لأنها لا تملك شيئاً تقدمه كضمان.

يوم الاربعاء، بعد اسبوع من عرض هيلتون، كانت كارولين تتناول الغداء مع مارغري في قاعة الطعام في مبنى الشركة، وتطلعت المرأة اليها بعينيها الخضراوين وقالت بلطف:

ـ عزيزتي، لا اقصد التطفل، ولكن هناك شيء كان يزعجك هذا الاسبوع، إذا كان هناك شيء استطيع المساعدة به، ارجوك أن تقولي.

ـ أوه يا مارغري. أتمنى لو انك تقدرين على مساعدتي.

ـ جربيني!

وصبت كارولين الشاي ووضعت الملعقة في الفنجان بهدوء قبل أن ترتفع نظراتها المضطربة الى مارغري.

ـ يجب علي تدبير سبعة آلاف «جنيه» قبل حلول الاربعاء القادم.

واتسعت عينا مارغري بشكل ملحوظ وصفّرت صفرة خفيفة على غير عادة النساء.



ـ يا طفلتي العزيزة. ولمَ هذا المبلغ؟

وشرحت كارولين لها الامر باختصار قدر المستطاع وانهت كلامها بالقول.

ـ وهكذا كما ترين، إذا لم أدبر المبلغ عندها..

ـ سيغتصب السيد ماكسويل هيلتون المبلغ على طريقته الكريهة.

ـ لقد فهمت!

لا توجد أية طريقة استطيع بها أن أحصل على هذا القدر من المال، ولا أعرف بالضبط ماذا أفعل.

ـ أستطيع مساعدتك بالفين، ولكن سيبقى خمسة الاف يجب أن تجديها في مكان ما.

ـ انت لطيفة جداً يا مارغري، ولكن.. اوه اتمنى لو أموت!

ـ لا تقولي هذا!

ومدت يدها عبر الطاولة وامسكت ذراع كارولين.

ـ أنظري.. سأسأل من حولنا قليلاً وأرى ماذا استطيع تدبيره قبل الاربعاء القادم.

ـ هل ستفعلين هذا حقاً؟

ـ لا أعدك بشيء، ولكن سأفعل المستحيل.

ـ شكراً لك.

واغمضت كارولين عينيها لتبعد دموع الارتياح لأنها استطاعت أخيراً أن تشارك شخصاً ما بمشاكلها. ولم تكادا تبدآن العمل بعد الظهر حتى رن الهاتف على طاولة مارغري، وبعد أن أجابت، مدت السماعة نحو كارولين.

ـ المكالمة لك.

وجاءها صوت هارولد برايس عندما أخذت السماعة ووضعتها على أذنها.

ـ آنسة ادامس؟ عليك الذهاب الى مكتب السيد دوليو فوراً. اتركي كل شيء ولا تضيعي الوقت، فالسيد دوليو يكره الانتظار.

- نعم سيد برايس، سأذهب فوراً.

ووضعت السماعة ويدها ترتجف.

- ما الأمر؟

- السيد دوليو يريد رؤيتي.

- الأسد؟ يا الهي، كارولين، ماذا فعلت ليستدعيك الى عرينه؟

- السماء وحدها تعرف، ولكن... صلّي لأجلي، ارجوك.

- سأفعل... و... حظاً سعيداً.

كان عقل كارولين يعمل بسرعة عندما أخذت المصعد الى الطابق السادس. وفي بضع ثوان، راجعت كل وجوه عملها، تبحث بيأس عن سبب استدعائها أمام الاسد، ولم تجد شيئاً. بالتأكيد لو أن الامر يتعلق بعملها، لكان تكلم مع رئيس دائرة المحاسبة؟ ألم يكن هذا ما قاله مارغري؟ ان غوستاف دوليو يتعامل فقط مع رؤساء الاقسام؟

وعندما وصلت الى الطابق السادس، اعادت جهودها لايجاد جواب لهذا الوضع المحيّر. ولكن داخلها كله كان يرتجف دون سيطرة عندما دخلت المكتب الواقع في آخر الممر، وسألتها المرأة ذات الشعر الرمادي من خلف طاولتها.

- الآنسة ادامس؟

- نعم.. نعم.

تمتمت وهي تحاول السيطرة على دقات قلبها المرتعد. واشارت المرأة الى الباب على يسارها، وتقدمت كارولين منه بكثير من التردد. خلف هذا الباب ينتظرها الاسد، وارتعبت أكثر من المعقول، ونظرت الى المرأة الجالسة خلف الطاولة. وجاءها الجواب على رجائها الصامت لأجل المساعدة.

- لا تتركيه ينتظر.

وقرعت الباب وانفاسها تتسارع ثم دخلت. ولكن نظر كارولين المرتعب تسمر بالرجل الواقف أمام النافذة وظهره العريض نحوها.



رائحة السيجار كانت تتجه نحوها، ولكن الرجل بقي مكانه وكأنما لم يلاحظ وجودها. وتساءلت فجأة عما إذا كان يجب ان تنبهه بكحة بسيطة، أو أي شيء، لتلفت انتباهه، ولكنها كان تشعر بأن حلقها ضيق جداً، وهي متأكدة أن الصوت لن يمر خلاله.

واستمر الصمت يقرض اعصابها المرتعدة حتى اصبحت غير قادرة على تحمل ثانية أخرى. وابتلعت ريقها واستطاعت ان تهمس:

- سيد دوليو؟

عندها فقط تحرك واستدار ليواجهها، ولكنها لم تتمكن من رؤيته بوضوح إلا بعد أن اقترب من طاولته. وتوقف قلبها عن الخفقان بضع لحظات، وأخذت ترف عينيها وتحدق، ثم مادت بها الغرفة واطلقت همساً مليئاً بالشكوك «أنت».

وأوشكت ساقاها أن تنهارا تحتها، ودون لحظة انتظار رمت نفسها على الكرسي، بينما رفع هو سماعة الهاتف وضغط على أحد الازرار.

- سيدة فرانكلين، لا أرغب في أن يزعجني أحد لمدة ساعة.

وحدقت كارولين بذلك الشعر الرجولي الذي يزين رأسه المتباهي، ثم انتقلت نظرتها المتحيرة الى عينيه الشبيهتان بعيون القطط، والقسمات النظيفة الحليقة الوسيمة في وجهه. هذا هو الرجل الذي آوت الى كوخه، ومع ذلك يبدو غريباً عنها تماماً. لقد حل مكان الثياب البسيطة والحذاء القبيح، بذلة فاخرة وحذاء جلدي غالي الثمن، وقميصه الابيض الحريري يبدو متبايناً مع بشرته البرونزية، وقد ثبّت ربطة عنقه الرمادية بدبوس ماسي. وكي يكتمل التحول من مزارع مكافح الى رجل اعمال لامع، حمل سيكاراً بين اصابعه عوضاً عن الغليون الذي اعتادت أن يكون مرافقاً للصورة التي كانت تلاحقها في ساعات صحوها ونومها خلال الاسابيع الماضية.

وقال لها بصوت آمر، ونظرة ساخرة في عينيه، بعد أن عاد الى وراء مكتبه.

ـ حسناً؟ أليس لديك شيء تقولينه؟

كانت كارولين تعلم انها تحدق اليه بفظاظة ولكنها لم تهتم، وتملكها غضب حل عقدة لسانها.

ـ لقد فهمت الآن لم وجدت الامر مسلياً عندما دعوتك باسم ليو، وفهمت أيضاً لمَ تصرف السيد برايس بغرابة عندما قابلته من أجل الوظيفة!

وغطت وجهها بيديها.

ـ آه.. يا الهي! اتخيل الآن ما ظنه بي.

ـ هل انت قلقة على سمعتك؟

ـ من الطبيعي أن أقلق.

ـ الاحظ انك لا زلت دون خاتم خطبة.

ـ لقد فسختها.

ـ ولماذا؟

ـ لاسباب شخصية.

ـ اتعنين أن دنيس هذا لم يصدقك عندما اخبرتيه ان عذريتك لم تمس على الرغم من قضائك عطلة نهاية الاسبوع معي.

وتطلع اليها هازئاً، واحمر وجهها من الاحراج.

ـ أجل.. هذا أحد الاسباب.

وساد صمت غير مريح بينهما، ثم سألها بخشونة.

ـ هل هذا كل ما ستقولينه لي؟

ورفعت كارولين نظرها اليه، كان من الممكن أن تخرج كل ما في قلبها للرجل الذي أسمته ليو، ولكن في تلك اللحظات كان الوضع مختلفاً تماماً. فهذا الرجل هو غوستاف دوليو، أسد «بورتي للهندسة البحرية»، الرجل الذي يخافه ويحترمه كل من يعمل له.

ـ سامحني سيد دوليو، أعتقد أن حياتي الشخصية لا تهمك.

ـ انت مخطئة، حياتك الخاصة تهمني جداً.

ـ لا أعتقد انني فهمت.



ووقف عن كرسيه وسار نحو النافذة ليقف في الوضع الذي وجدته فيه عندما دخلت المكتب. وبدأ الكلام وظهره اليها، وبدت انفاسها وكأنها تنضغط وهي خارجة من رئتيها عند كل كلمة يقولها.

ـ والدك فنسنت آدامس توفي منذ سنة. وتقول شهادة الوفاة انه مات من جراء جلطة قلبية، ولكن في أوساط معينة يقال انه أسكر نفسه حتى الموت. عاش مديوناً، وقامر بكل ما يملك من مال، واكثر، ولكن بدلاً من أن تتركي ديونه تموت بشكل طبيعي معه، جعلك كبرياؤك تتحملين عبء الدفع. وبعت منزلكم الريفي في «هوت باي» لتسوية ديونه، لكن بقي أمامك ديون من المقامرة تبلغ ثمانية آلاف جنيه، ما زلت مدينة بسبعة من أصلها. معلوماتي هذه صحيحة، أليس كذلك؟

واستدار وسار نحوها. وتمكنت في النهاية من القول همساً.

ـ كيف... كيف عرفت كل هذا؟

ـ لقد تحريت عنك

ـ لقد أجريت ماذا؟

ـ سمعتني

ـ ولكن لماذا؟

ـ سأشرح لك في وقت آخر.. لقد قيل لي ان شخصاً اسمه ماكسويل «يلتون زارك منذ اسبوع، هل هذا صحيح؟

ـ وما هو الذي لا تعرفه؟

ـ هل تملكين المال لابعاده عنك؟ أم انك تنوين الاستسلام لمطالبه؟

ـ إذا كنت تعني أن أصبح عشيقته، فالجواب، لا. لا أملك المال لادفع له، ولكنني أفضل الموت على ان يلمسني.

ـ هذا ما رغبت في سماعه. الآن نستطيع أن نتحدث عن العمل.

ـ أي عمل يجب أن نبحث فيه؟

ـ لاسباب سأشرحها لك لاحقاً، يجب علي أن أخترع زوجة قبل نهاية هذا الشهر. وإذا صنعت معي معروفاً بهذا الخصوص. سأعمل



www.elromancia.com

على أن لا يضايقك ماكسويل هيلتون بعد الآن.

وحدقت به كارولين غير مصدقة، وأخذ لونها يتبدل بسرعة. حاولت ان تقول لنفسها انها لم تسمعه بشكل صحيح، ولكن كلماته كانت تتردد في ذهنها الى ان علمت انها غير مخطئة.

ـ هل تطلب مني أن أتزوجك؟

ـ أجل. تتزوجيني. ومقابل ذلك سأدفع ديون والدك.

ـ لا بد أن هناك امرأة ما يهمك أمرها قد تقبل بالزواج بك؟

ـ أنا أتمتع بحريتي. والمرأة التي أعرفها قد ترغب في ان تجعل الزواج دائماً، ولكن معك أنا في وضع أستطيع فيه الاشتراط بان ينتهي الزواج عندما يتأكد أطراف معينة انني متزوج رسمياً.

ـ ما تقوله انك لا تمانع في استخدام شخص تافه مثلي ليخدم اغراضك.

ـ هذا صحيح، هل اقتنعت؟

واقتنعت كارولين، نعم، اقتنعت ان تقول له ان يذهب الى الجحيم، ولكنها ترددت. انه يعرض عليها فرصة للخلاص من براثن ماكسويل هيلتون، وهي في وضع يائس لا تستطيع رفض هذا العرض. أمامها مارغري ايضاً التي تحاول ان تساعدها بطريقة ما، أن تنتظر النتيجة قبل أن توافق على الزام نفسها بهذا الرجل.

ـ احتاج بعض الوقت للتفكير بعرضك.

ـ لديك حتى الاربعاء القادم لايجاد المال لهيلتون سأمر لأخذك عند السابعة من مساء الثلاثاء، وعندها بمقدورك ان تعطيني الجواب على العشاء.

ـ حسن جداً.

ـ تستطيعين الذهاب.

وصرفها بخشونة، ولكن عندما بلغت الباب، أوقفها صوته المسلط.



ـ لحظة واحدة.

ـ نعم؟

واستدارت لتواجهه، فوقف عن كرسيه وسار نحوها.

ـ أأستطيع الاعتماد على سكوتك؟

ـ أجل. ولكن ماذا أقول إذا سألني أحد لمَ استدعيتني الى مكتبك؟

ـ أنا متأكد أنك ستفكرين بشيء ما.

وابتسم لها بسخرية، ثم فتح الباب وتراجع الى جنب ليترك لها مجال المرور بحدة.



www.elromancia.com

# ٤ . الصفقة

وأقل المصعد كارولين من الطابق السادس الى الأول، ولكنها كانت في حالة دوار وحيرة، ولم تكن تدري ما تفعل ولا أين تذهب. كانت أعماقها ترتجف، وعقلها في دوران محموم، ولكن عندما جلست أخيراً وراء طاولتها، شعرت وكأنها مرت بنوع من الكوابيس. وسألتها مارغري:

ـ حسناً؟ ماذا كان الاسد يريد منك؟

ـ آسفة يا مارغري، إنها مسألة سرية لا أستطيع البوح بها الآن.

ـ هل الأمر له علاقة بالمبلغ الذي تبحثين عنه؟

ـ أجل.. بطريقة ما. ولكنني أقدّر لك كثيراً لو استطعت مساعدتي لتدبير المبلغ.

ـ قلت لك سأفعل ما بوسعي.

ـ شكراً لك يا مارغري.

واختفت كارولين ارتباكها وخوفها خلف ابتسامة، كانت تخبو بينما كانت الايام تمضي لتصبح اسبوعاً، شعرت وكأنها عالقة بين نارين، إحداهما أشد فتكاً من الأخرى. وإذا كان لها أن تختار بين العرضين، فستختار إذاً الزواج من غوستاف دوليو بدل بيع نفسها لماكسويل هيلتون، ولكنها في هذا الوقت تركز آمالها على مارغري لتجد لها حلاً قد لا يضطرها إلى الزواج من رجل شعرت بأنه غريب عنها الآن أكثر مما كان قبلاً.



وذهبت الى عملها يوم الثلاثاء، وشيء ما كان يقول لها ان الوضع لن يتحسن كما كانت تأمل. وما أن نظرت إلى وجه مارغري حتى عرفت ان شكوكها كانت صحيحة.

ـ عزيزتي، لقد ذهبت إلى كل شخص أعرفه تقريباً، ولكن...

ـ فهمت، لقد كنت لطيفة جداً لازعاجك نفسك بمشاكلي. وأنا شاكرة لك فعلاً.

ـ ولكن ماذا ستفعلين؟

ـ هناك حل يبدو أنني لن أستطيع تجنبه، سأخبرك به غداً.

ـ لن تعطي ذلك الرجل ما يرغب به أليس كذلك؟

ـ أبداً.

ـ شكراً للسماء. ولكن ماذا...؟

ـ كوني صبورة قليلاً، سوف تعلمين بعد قليل.

ووجدت كارولين صعوبة كبيرة في التركيز على عملها، وذلك الموعد للعشاء مسلط كالسيف فوق رأسها. يبدو أن ليس هناك من خيار سوى أن تتزوج من الاسد في سبيل الخلاص من ماكسويل هيلتون. الاسد بحاجة الى زوجة، لسبب لا يزال عليها أن تكتشفه، وهي بحاجة إلى المال لشراء نفسها من وضع صعب. لم تكن الاسباب متوفرة أمامها لأن تقبل بهذا الزواج، ولكن كعرض عمل، الأمر مغرٍ.

أمضت بقية النهار وهي تقنع نفسها بأن تتظاهر بالشجاعة، ولكن عندما وصل غوستاف دوليو ليصطحبها، كانت قد اصبحت كتلة أعصاب مشدودة. ولم يأخذها إلى المطعم كما توقعت بل اصطحبها إلى منزله في «كونستانتيا».

ـ سنكون على انفراد أكثر هناك.

كان منزله مثيراً للإعجاب ومفروشاً بتحف لا تقدر بثمن، ولكن بالنسبة لكارولين كان مخيفاً، وشعرت بانعقاد لسانها، والخجل من ثوبها البسيط، الذي كان أفضل ما عندها لترتديه في تلك الأمسية.



www.elromancia.com

وتناولا العشاء في غرفة، تقود الى قاعة الطعام الرئيسية، و... الخدم يروحون ويجيئون دون توقف، ولكن كارولين كانت مضطربة جداً لتعرف ماذا تأكل، أو ما إذا كانت قد أكلت شيئاً، بينما كانت تجلس بمواجهة الاسد عبر الطاولة الطويلة. والذي كان يراقبها بعينيه الغريبتين. في الكوخ كان بإمكانها أن تعامله معاملة الند للند، ولكن مضيفها الليلة كان أرفع مستوى منها بكثير، وما حيرها هو أنه اختارها لتكون زوجة له لسبب ما.

وقالت أخيراً، بعد أن لم يعد بإمكانها كبح فضولها:

ـ اعذرني لهذا السؤال، ولكن، ماذا كنت تفعل في ذلك الكوخ النائي في الريف؟

ـ الكوخ في أرض أملكها، والمنزل الريفي الحقيقي يقع خلف النهر، يعيش فيه مدبر يعتني به. لذا كلما ذهبت الى هناك استقر في الكوخ، أنا أحب العزلة، والهدوء والسكينة في الريف مثالي عندما أحتاج ان أفكر بشيء مهم.

ـ فهمت.

ـ هل فهمت، أعجب لذلك؟

ـ أحاول أن أفهم.

ـ لنتوقف عن الخصام، ماذا قررت؟

ـ لم أنت بحاجة إلى زوجة بهذه السرعة؟

ـ سيبقى الأمر مسألة شخصية الى أن تعطيني ردك الايجابي.

ـ ليس لدي كثير من الخيار اليس كذلك؟

ـ لديك خيار: إما هيلتون أو أنا.

ـ هذا بالضبط ما أعنيه. قلت لك أنني أفضل الموت على إعطاء هيلتون ما يريد. وهذا يترك لي خيار واحد للجوء اليه للحماية والمساعدة.

ـ إذاً توافقين على الزواج مني؟



وترددت كارولين، ولكنها معاً عرفا أن هناك جواب واحد.

ـ أجل، أوافق على الزواج منك.

ـ هذا جيد، إذاً لنذهب إلى غرفة الجلوس لاشرح لك الوضع.

وفي غرفة الجلوس جلست تنتظر الى أن أشعل سيجاراً، وكانت النار تشتعل في الدفأة وتعطي الدفء للغرفة الواسعة. ولكن كارولين كانت ترتجف بعصبية، وشعرت ببرد غير عادي يهز قلبها. ونظرت إلى غوستاف وهو يمر أمام مقعدها ويقف وظهره الى النار ويبدأ بالشرح.

ـ أمي كانت امرأة مريضة، وماتت عندما كنت في الخامسة من عمري. وتزوج والدي فيما بعد امرأة اسمها إيزابيل. فيندلاي. عندما كنت في الثانية عشر، كانت ارملة ولها ولد يدعى روسل، والدي كان دائماً يتحكم بكل انسان، حتى والدتي، بيد من حديد، ولكن إيزابيل بطريقة ما استطاعت أن تلفه حول إصبعها الصغير، واقنعته بتبني روسل ليحمل اسم العائلة، ثم بدأت بإقناع والدي بأنني لست جديراً بالارث، وكانت النتيجة بعد أن توفي والدي منذ سنتين أن ورثت إيزابيلا هذا المنزل، وخمس وعشرين بالمئة من أعماله، ومبلغ ضخم من المال، أخذته وسافرت مع روسل الى ناميبيا حيث موطنها.

ـ ولكنك ورثت الاعمال مع ذلك.

ـ ورثت الاعمال على شرط، أن أتزوج بعد سنتين تماماً من وفاة والدي.

ـ ولكن هذا غير عادل!

ـ أنا الملام عن هذا جزئياً، لم يكن سراً واقع انني أفضل أن أبقى حراً. وفي أيام والدي الأخيرة استحوذت عليه فكرة أن أعماله يجب أن تبقى ضمن العائلة. وبما أنني لم اتزوج لأنجب وريثاً، استغلت ايزابيلا هذا الواقع لاقناع والدي بأن روسل هو المرشح لانجاب وريث، وهكذا وضع هذا الشرط في الوصية.

ـ اعتقد أن أخوك غير الشقيق متزوج.



www.elromancia.com

- أوه.. أجل، لقد دبرت ايزابيلا زواجه حالما وصلا الى ناميبيا. لقد تزوج السنة الماضية، وعلمت أن طفلاً آتياً في الطريق، وهذا يعني بالطبع أنهما أصبحا الآن متأكدين من ربح المعركة.

- وماذا سيحدث عندما.. عندما نفسخ زواجنا؟ ألن يكون الشرط في الوصية لا يزال سارياً؟

- لا، فالوصية تنص على حصول الارث بمجرد أن أثبت حالة زواجي وهذا كل شيء. ولا تنص على أن أبقى متزوجاً لبقية العمر.

- فهمت، وفي أي يوم سيطلبون البرهان على زواجك؟

- في الخامس عشر من أيلول.

- أي بعد شهرين من الآن. أظن أنك قلت بانك يجب أن تكون متزوجاً قبل نهاية هذا الشهر؟

- هذا صحيح. إيزابيلا ستصل خلال اسبوع. وما من شك أن روسل وزوجته نيكولا سيرافقانها. تريد أن تكون هنا قبل الوقت المحدد لتحضر لما تعتبره حق الميراث لابنها، وطبعاً تريد التأكد أنني لا زلت غير مرتبط.

- وانت تريد أن تحبط شوقهم باختراع زوجة لك اليس كذلك؟

- أجل، يمكنك قول هذا، عندي معلومات بأنهما مفلسان، وإذا نجحت خططي، فلن أمتلك فقط حصص إيزابيل بل سأمتلك منزل العائلة ثانية.

ذكر الخطط، ولكنها تساءلت أي دور ستلعبه بالضبط لتنفيذ خططه هذه لاستعادة حق الإرث.

- وماذا سيحدث الآن؟

- سأعيدك الى منزلك، واتركي ماكسويل هيلتون وكل شيء آخر لي.

لهجته الصارمة لم تدع لها مجالاً للمناقشة واستمر هذا الوضع الى أن أركن السيارة أمام البناء الذي تسكن فيه، واستدارت نحوه من حيث تجلس في السيارة.



- هناك رجاء أود أن أطلب أذنك في أن أخبر صديقتي مارغري دويل حول.. حول قرارنا؟ كانت لطيفة معي في هذه الاسابيع الماضية، ولا أريد أن تعرف الخبر من غيري.

- يمكنك اخبارها إذا رغبت.

- شكراً لك.

أخذت كارولين تفكر وهي مستلقية في فراشها... لكي تتخلص من قبضة رجل، وافقت على رمي نفسها بين يدي آخر يبعث الخوف فيها منذ اللحظة التي التقت به ليلة العاصفة. زواجها سيكون زواج مصلحة، سيدفع عنها ديونها إذا مثلت دور زوجة له. هل من الممكن لهما أن يحافظا على علاقة عذرية بينهما في وقت يعيشان فيه تحت سقف واحد، ولعدة أسابيع؟

أول سؤال طرحته مارغري دويل عليها في الصباح التالي كان:

- ماذا ستفعلين بماكسويل هيلتون؟ هل وجدت شخصاً يساعدك في تدبير المبلغ؟

- أجل، لقد وجدت.

- من هو؟

- مارغري، هناك شيء يجب أن أخبرك به. إنه شيء لا أريدك أن تسمعيه من غيري. إنه... إنني سأتزوج الاسد.

- هل هذه مزحة مجنونة؟

- أنا لا أمزح يا مارغري، طلب مني الزواج ووافقت.

- أتعنين أنه وافق على دفع المبلغ إذا وافقت على الزواج منه، اليس كذلك؟

- شيء من هذا القبيل، أجل.. أترين يا مارغري، لقد تقابلنا من قبل، الاسد وأنا، ولكنني لم أكن أعرف يومها من هو.

- اتعنين أنك اكتشفت من هو عندما استدعاك إلى مكتبه الاسبوع الفائت؟

- نعم.



www.elromancia.com

ـ لم يكن الامر صدفة إذاً، إنك أتيت لتعملي في مؤسسته.

ـ لا لم تكن صدفة، عرف انني بحاجة إلى وظيفة فأعطاني اسم مارولد برايس وطلب مني الاتصال به.

ـ اتعنين أنه حضّر لك هذا المركز خصيصاً.

ما قالته مارغري كان كصفعة ايقظتها على الحقيقة، وشعرت بالإذلال لهذه الفكرة.

ـ يا الهي.. أجل، لقد ادركت هذا الآن.

ـ لا يجب أن تقلقي، قريباً ستنظرين الى هذه الفترة من عليائك وانت السيدة غوستاف دوليو.

ـ مارغري، أنت لم تفهمي، وأخشى أنني لا أستطيع أن أشرح لك.

ـ ماذا هناك لتشرحيه؟ لقد تم كل شيء حسب ما تشتهين اليس كذلك؟ حسناً أليس كذلك؟

ـ أجل بالطبع، مارغري أنا.. أتمنى أن نستمر كأصدقاء.

ـ آسفة يا عزيزتي لأنني كنت قليلة الذوق معك، بالطبع سنبقى اصدقاء لدي شعور أنك ستحتاجين الى صديقة في وقت قريب.

وقبل فرصة الغداء، رن جرس الهاتف والتقطته مارغري ثم مدت السماعة لكارولين «مكالمة لك» ودق قلب كارولين عندما رفعت السماعة إلى أذنيها وقالت:

ـ كارولين ادامس تتكلم.

ـ سالاقيك عند مدخل البناء عند الواحدة تماماً، أمامنا الكثير لنناقشه، ومن الافضل أن يتم هذا اثناء تناول الغداء.

وبعث صوت غوستاف دوليو قشعريرة في جسدها، واستطاعت أن تجيبه بعصبية وهي تتطلع بغباء الى السماعة في يدها «حسن جداً».

وسألتها مارغري بصوت خافت.

ـ أظن أنه شخص لن أذكر اسمه، اليس كذلك؟

ـ أجل، يريدني أن اتناول الغداء معه، وسيلاقيني خارج البناء عند الواحدة تماماً



ـ مثل هذه المعلومات قد تطلق الالسنة خلفكم، وخاصة إذا شاهدكم أحد معاً.

ـ سيعلم الجميع بالامر عاجلاً أم آجلاً.

عندما خرجت في الوقت المحدد كانت تشعر بالهدوء. وتوقفت سيارة جاكوار فضية بقربها عندما وصلت إلى اسفل الدرج. ولاحظت فوراً بحرج نظرات الفضول المتجهة الى الرجل داخل السيارة وهو ينحني ليفتح لها الباب.

ـ اصعدي الى السيارة.

أمرها الاسد بهذا، واسرعت بالدخول، لتتخلص من الحشد الصغير المتهامس الذي تجمع عند درجات السلم، ولم يهتم غوستاف دوليو بالنظرات الفضولية الموجهة لهما، وكرهته لهذا، ولكن روح المرح عاودتها بعد لحظات عندما شاهدت دهشة الحارس عند الباب، فقد تعلقت يده في الهواء في محاولة للتحية، بينما سقط فكه الى الاسفل عدة سنتيمترات، وقابلت ضحكة كارولين محاولة ابتسام على قسمات الرجل الجالس قربها. وعندما استطاعت السيطرة على ضحكتها قالت معتذرة:

ـ أنا آسفة.

ـ أفضل أن أراك ضاحكة على أن أرى ذلك العبوس الذي لازمك عندما كنت تصعدين الى السيارة.

ـ كيف بدوت؟

ـ بدوت وكأنك ستنفجرين بالبكاء، هل كنت على وشك البكاء؟

ـ لا أظن، لقد شعرت بعدم الراحة وتلك العيون الفضولية تراقبني.

ـ ستعتادين عليها، ولكنك لن تتحمليها لوقت طويل.

ووصلا إلى مطعم صغير قرب الشاطىء، وتناولا بعض السمك والسلطة، ولكنها لم تتمتع بالطعام لأنها كانت عصبية المزاج.

ـ لقد قابلت هيلتون هذا الصباح، وقد تم تمزيق تلك الاتفاقية الـ وقعتيها بكل غباء، لن يضايقك بعد اليوم.

ـ شكراً لك.



www.liilas-romantic.com

ـ ها قد تمت أول مرحلة من اتفاقنا، والمرحلة الثانية ستكون زواجنا، ورتبت أمر اتمامه عند الرابعة بعد ظهر هذا السبت

ـ في هذا الوقت القريب؟

ـ سيمنحنا ذلك بضع أيام لنتعود على بعضنا البغض قبل وصول إيزابيل.

ـ وماذا عن وظيفتي؟

ـ خدماتك لم تعد مطلوبة ابتداء من بعد ظهر يوم الجمعة.

ـ لماذا يتملكني شعور بأنك تتلاعب بحياتي كما تشاء منذ أن تشاركنا الرفقة في كوخك؟

ـ إذا كنت تظنين هذا، فأنت محقة تماماً، لقد كان أمامي مشكلة، وأدركت فور لقائنا أنك ستناسبين خططي، وعندما علمت بفسخ خطوبتك، أجريت بعض التحريات عنك، مشاكلك المالية كانت الاداة التي احتجتها لاقناعك بقبول عرضي ايصدمك هذا؟

ـ من المفترض أن يصدمني، أنا متأكدة.

ـ ما قلته لك هو الحقيقة.

ـ لا أشك في هذا، فتعجرفك وأنانيتك تكفي لتجعلك تتصرف بالضبط كما قلت وأكثر، ولو لم أكن يائسة للتخلص من ماكسويل هيلتون، لقلت لك أن تذهب الى الجحيم!

ـ هل تعتبرين أن لديك الحق في انتقادي؟

ـ لا، كما افترض، ولكنني في الحقيقة لست أفضل منك فأنا سأتزوجك من أجل المال، واحتقر نفسي لاجل هذا.

ـ هذا أحد الاشياء التي تعجبني فيك يا كارولين، فأنت صادقة حتى العظم، وهذا لن يترك لي مجالاً للشك بما تظنين بي.

ـ ما تقوله في الواقع أنني فظة وقاسية الكلام.

ـ أفضل الفظاظة وقسوة الكلام على التهور، وأنا مقتنع أن العيش معك في الشهرين القادمين لن يكون مملاً.



لم تكن كارولين متأكدة مما كان يعنيه بهذا الكلام، ولكن شعوراً غريباً تملكها بأن التفسير لن يعجبها إذا طالبت به. وهكذا أكملت قهوتها بصمت.

حياة كارولين اتخذت منعطفاً عنيفاً باتجاه الوهم. ومشاهدتها مع غوستاف سبّب ضجة بين الموظفين، ونظر اليها بكثير من الريبة والفضول. وعندما تسربت انباء زواجهما، قامت مارغري بإيقاف الجميع عند حده بلسانها الحاد.

بعد الغداء يوم السبت مباشرة تلقت بطاقة من غوستاف مع مرسال اتى ليأخذ سيارتها، تقول البطاقة «سنأتي لنأخذك عند الثالثة والنصف تماماً ـ غوستاف» إذاً، هذا هو يوم زفافها، وبغضون بضع ساعات ستصبح السيدة غوستاف دوليو، وتملكها شعور بانها قادمة على عمل ستندم عليه العمر كله، ولكن لم يكن باستطاعتها تحويل مسار الاحداث في هذه المرحلة المتأخرة.

عندما وصلت عقارب الساعة الى الثالثة والربع. وقفت تنظر الى نفسها في المرآة. كان شعرها الاشقر الحريري ينسدل بنعومة على كتفيها. وثوبها ذو الاذيال الطويلة الملونة بألوان ذهبية، يتناسب تماماً مع جسدها الملفوف ويصل الى منتصف ساقيها الجميلتين. عيناها الرماديتين بأهدابها الذهبية، حدقت بشكلها في المرآة، لم تكن تملك الجاذبية حسب المقاييس العادية، ولكن والدها من وجهة نظره الفنية كان دائماً يقول انها تملك أكثر عينين مؤثرتين شاهدهما في حياته. واحمرت وجنتاها أكثر عندما سمعت طرقاً حاداً على الباب. وارتعدت اصابعها وهي تحاول اقفال سحّاب ثوبها واسرعت الى الباب لتجد مارغري واقفة هناك.

ـ ارى ان زفافك سيكون هادئاً دون ضيوف أو شهود. اتيت لأرى إذا كان هناك شيء اساعدك فيه. حتى ولو كان الامر يقتصر على مرافقتي لك.

ـ اوه مارغريتي! أنا سعيدة جداً لأنك اتيت.
ـ هل انت متوترة الاعصاب؟
ـ أنا مرتعبة!
ـ متى تتوقعين قدوم الاسد؟
ـ في أية لحظة الآن. هل تساعديني باقفال السحّاب أرجوك؟
ـ ها قد تم الامر. كم تبدين جميلة.
ـ اتعتقدين ذلك حقاً؟
ـ تبدين كالملاك! بحق السماء لا تبكي يا عزيزتي، ستفسدين زينتك.

ولم تكد كارولين تصلح الثوب على كتفيها، وتأخذ نفساً عميقاً حتى كان هناك طرقة خفيفة على الباب، وخلال لحظة وجدت نفسها تحدق في نظرات استحوذت على عينيها تماماً كان قلبها يدق، واصابعها المرتجفة تقبض بشدة على حقيبتها وقفازاتها، بينما كانت عينا غوستاف تطوفان على طول جسدها.

ـ هل أنت مستعدة؟
وهز رأسه بالتحية لمارغري وهو يدخل الغرفة.
ـ أنا مستعدة.
والتقطت حقيبة ملابسها وتبعته بصمت، ووضع حقائبها في صندوق السيارة والتفت الى مارغري وخاطبها للمرة الأولى.
ـ هل سيارتك معك سيدة دويل.
ـ نعم سيد دوليو.
ـ ربما ترغبين أن تأتي معنا وتعطي كارولين بعض الدعم المعنوي؟
وبدا على مارغري انها سترفض، ولكن عندما لاحظت نظرة كارولين المتوسلة هزت رأسها وابتسمت:
ـ أحب أن آتي معكما، شكراً.
ـ الحقي بنا إذاً بسيارتك.



عندما وصلا أخيراً الى الكنيسة الصغيرة، وقفا ينتظران مارغري لتلحق بهما وقال لها:
ـ أنا نادم لأنني لم أجلب مصوراً ليلتقط صورنا. فانت تبدين فاتنة تماماً.
ـ الصور تمثل الذكريات. وعندما يحين موعد الفراق، لن يتمنى أحد منا أن يتذكر هذه الحادثة في حياته.
ـ انت محقة. طبعاً الذكريات غير السعيدة يجب أن تبقى منسية.

www.elromancia.com

# ٥ ـ ابتسامة الاسد

في الكنيسة وأمام رجل الدين يعظهما وعلى انغام العزف على «الارغن»، قطع غوستاف وكارولين الوعد بأن يحبا ويتعلقا ببعضهما إلى الأبد في السراء والضراء والصحة والمرض، ولكن، كلها كانت أكاذيب، والوعود التي قطعاها أمام الله كانت مدعاة للعار، وشعرت كارولين بالغثيان عندما أعلنهما رجل الدين زوجاً وزوجة، وأمرهما، كالعادة، أن يقبل العريس عروسه. وعندما سنحت الفرصة لمارغري لتهنئتها همست لها:

ـ ابتسمي بحق السماء!

وأطاعتها كارولين على الرغم من شعورها بالرغبة في البكاء، وانحنت مارغري لتقبلها، فقالت كارولين:

ـ أنا سعيدة بأنك هنا.

ـ أنت تعرفين عنواني، فإذا احتجت لي، اتصلي بي.

وأنهى اقتراب غوستاف حديثهما، وعندما خرجوا من الكنيسة بعد بضع دقائق، برزت الشمس من بين الغيوم لتعطي بعض الدفء على الأرض. ولم تدر كارولين أكان هذا فأل حسن أم لا. الشيء الوحيد الذي كانت متأكدة منه تلك اللحظات أن أعصابها اصبحت متوترة الى درجة خافت أن لا ترتاح ثانية.

ـ لم يكن هذا الزفاف من النوع الذي تصورتيه لنفسك اليس كذلك؟



ـ لم أتصور أبداً أن يكون لي زفاف زائف، إذا كان هذا ما تقصد، ولكنني كنت أتخيل أن أتزوج في ظروف مغايرة.

ـ إذا تم كل شيء على ما يرام، ستكونين حرة بعد أقل من ثلاثة أشهر، عندها تستطيعين أن تمحي هذه الحادثة من ذاكرتك.

ـ لا استطيع الانتظار.

ـ قد يتخلى دنيس عن أفكاره البالية ويقرر استعادتك.

ـ قد يفعل.

ـ سيجعلك هذا سعيدة، اليس كذلك.

ـ أجل.

ـ هل ستدعيني إلى حفلة زفافك. قد أحل مكان والدك.

ـ أنت لست كبيراً في السن الى هذه الدرجة.

ـ أنا في التاسعة والثلاثين، ولطفلة في مثل سنك أبدو هرماً.

ـ هل تريد مني أن أفكر بك كوالدي؟

ـ ليلعنني الله إذا فكرت هكذا!

كان يقتربان من منزله عندما سألته جادة:

ـ الا ترغب أبداً في زواج حقيقي لتنجب اطفالاً يحملون اسمك؟

ـ جوابي هو «لا».

وأدار السيارة نحو اليمين عبر العامودين الحجريين لبوابة قصره «لا، ش.» صعوداً في الطريق الملتوي الموصل الى المنزل، وتابع كلامه:

ـ أسام بسهولة من النساء، ولا أفكر أبداً انني قادر على تحمل من يصرخ ويصخب في البيت.

واتسعت عينا كارولين من الصدمة، وساد الصمت بينهما، الى أن نزلا من السيارة ووضع لها حقائبها على الأرض المغطاة بالسجاد في الردهة. واستدار ليواجه الخادمة التي كانت تقترب.

ـ تيلي سترشدك إلى غرفتك، إذا رغبت في انعاش نفسك، واقترح أن تحضري معك معطفاً أو شيئاً مدفئاً، فسنخرج لتناول العشاء الليلة.



www.elromancia.com

واستدار ودخل الى غرفة الجلوس، وترك كارولين لتلحق بتيلي صعوداً على السلم المغطى بالسجاد وعلى طول الممر باتجاه الجناح الشرقي من المنزل، ثم وضعت الحقائب وفتحت أحد الأبواب العديدة، وتراجعت باحترام أمام كارولين لتسبقها الى داخل الغرفة.

- سافرغ لك حقائبك عندما تخرجين هذا المساء سيدتي.

- لن يكون هذا ضرورياً يا تيلي، لا أرغب في ازعاجك الى هذه الدرجة.

- ليس من ازعاج سيدتي، اتركي كل شيء لي.

كان هناك غرفة ملابس ملحقة بغرفة النوم ووراؤها الحمام الذي يحتوي على كل وسائل الراحة الحديثة التي قد يتخيلها الانسان، وغسلت يديها، وأعادت تزيين نفسها، وتوقفت للحظة لتنظر الى الخاتم الذهبي الغريب في اصبعها قبل أن تخرج معطفها من الحقيبة وتهبط لتنضم الى غوستاف، الذي وقف عندما دخلت وقدم لها كأساً من الشراب، وتوقف قلبها لحظة واحدة عن الخفقان عندما التقطها بنظراته الآسرة وحاولت ابعاد نظرها، وأحست بالمرارة ترتفع في جسدها. وتسارعت نبضاتها كما حصل معها تلك الليلة في كوخه عندما عانقها. وأحست بشغف في أعماقها لأن تحس بقوة ذراعيه تلتفان حولها ثانية. وسألته عن شيء بدا لها محيراً:

- إذا كان هذا المنزل تركه والدك لزوجته، فلماذا كانت تعيش بعيدا منذ وفاته؟

- إيزابيل وأنا لا نتفق، لم نتفق ولن نتفق أبداً، فهي تريد إزاحتي عن طريقها، ولكن لحسن الحظ اشترطت وصية والدي أن يبقى هذا منزلي طالما أحببت، لذا فقد رجعت إلى عند عائلتها. وهذا أفضل لها من البقاء تحت مراقبتي. وإذا رغبت في بيع هذا المنزل يتوجب عليها ان تعرضه علي أولاً.

- هل لديك فكرة بأنها قد تبيعه؟



- ليس الآن، لا، ولكن عندما يحين الوقت، سأعرض عليها ما لا تستطيع رفضه.

- من الواضح أن لديك خطة في ذهنك.

- أجل، لدي خطة.

ونهض على قدميه وقال لها: «هل نذهب؟» وهزت رأسها بالإيجاب، وسارا معاً ويده تحت ذراعها الى السيارة، ولهذه المناسبة أخذها الى مطعم على الشاطىء حيث يستطيعان العشاء والرقص، أو الجلوس ومشاهدة برنامج السهرة بينما هما يتناولان الطعام. وتطلعت حولها باهتمام بينما كان غوستاف يطلب الطعام. كانت الاضواء ترمي نوراً خفيفاً على الطاولات المحضرة وعليها الأواني الفضية اللامعة فوق غطاء أبيض، وكان الازواج يرقصون على نغم الموسيقى التي تعزفها الفرقة، بينما كان الآخرون يتناولون العشاء وسط أصوات الضحكات والهمسات.

وشعرت كارولين بالارتياح لرفقة غوستاف، فقد استمر في حديثه الخفيف المسلي خلال تناولها العشاء، ووجدت نفسها تضحك من بعض الملاحظات التي أبداها على بعض من كان في المطعم معهم. وكان يقاطع حديثهما البرنامج الفني من وقت إلى آخر، وكذلك في تلك اللحظة عندما ظهر على المسرح ست فتيات ليقدمن رقصة مجنونة جعلت كارولين تحمر خجلاً لرؤية حركاتهن، ونظرت بسرعة الى غوستاف، ولكنها كانت غلطة، لأن لونها احمر أكثر عندما وجدت نظراته مركزة عليها بالكامل. واشاحت بنظرها عنه بسرعة، ولكنها كانت تشعر بوقع نظرته وكأنها تعريها كما تفعل تلك الفتيات على المسرح، ولكنها استعادت طبيعتها عندما استدار غوستاف ليواجه الفتيات وهن يختفين خلف الستار، وعندما عاد إلى النظر اليها حولت الحديث بسرعة عنها لتسأله:

- ماذا تعتقد أن زوجة أبيك ستقول عندما تكتشف أنك متزوج؟

ـ من الصعب القول. أنها أمرأة ذكية جداً، ولن تستسلم بسهولة.

ـ يبدو أنها مخيفة قليلاً!

ـ مهما فعلت، لا تحاولي مصادقتها، ولديك شعلة في شخصيتك للرد قدر ما تستقبلين، وأنا معتمد عليك.

مهما كانت كارولين قد تصورت في الماضي، فقد أدركت الان أن الامر ليس مجرد لعبة. فالامر مهم جداً لغوستاف ليحافظ على سيطرته على اعمال والده، ويجب عليها أن تلعب دورها بحذر.

ـ أرجو أن لا أخذلك.

ـ أعلم أنك لن تخذليني، هل ترغبين في الرقص؟

وقادها الى حلبة الرقص ولف ذراعه على خصرها، وهو ممسك بها قريبة جداً منه، وهما يتحركان على أنغام الموسيقى. كانت كارولين مشغولة بالرقص، ولكن خطواتها لم تكن تتوافق مع خطوات شريكها بهذا الكمال من قبل. كانت الموسيقى ناعمة، وعاطفية، وتملكها شعور غريب بأنها محمولة على غيمة معلقة بين السماء والأرض. واختفى توترها، والتفت ذراع غوستاف حولها في الحال عندما شعر براحتها، ثم أحست بأن قلبها يتدفق بمشاعر جعلتها ترتجف، وخوفاً من أن يرى هذا في عينيها دفنت رأسها في كتفه العريض. وحاولت أن لا تفكر، فهي لن تقدر أن تفكر أنها كانت تقع في حب هذا الرجل الذي أوضح منذ البداية أنه لن يحتاجها بعد تحقيق اهدافه.

فخلال عودتها الى ڤيلا «لاروش» في وقت متاخر من ذلك الليل كانا صامتين. ودخلا المنزل بعد أن فتح الباب بمفاتيحه الخاصة ورافقها الى غرفتها، ولكن على عكس ما توقعت دخل واقفل الباب وراءه، ودون أن ينبس بكلمة خلع سترته وفك عقدته ورماهما على كرسي في الزاوية، ثم بدأ في فك أزرار قميصه الحريري الابيض، كاشفاً بذلك عن صدره الاسمر قطعة قطعة أمام نظرها.

ـ ماذا تفعل؟



ـ أخلع ملابسي، كما ترين.

ـ ولكن لا يمكنك ذلك! ليس هنا!

ـ يا طفلتي العزيزة، ولكن هذه غرفة نومي أيضاً. ونحن متزوجان.

ـ أتعني أنك تنوي أن تنام هنا.

وتطلع اليها ويداه على وسطه.

ـ هذا الفراش كبير جداً ويستوعب اثنين.

ـ أنت لست أفضل من ماكسويل هيلتون! بل أنت أسوأ! على الاقل هو أوضح ما يريد.

ـ ولكن هناك فرق، لو فكرتي بالأمر، لقد اقترح عليك أن تكوني عشيقته، ولكنني تزوجتك.

ـ لقد جعلتني أعتقد أن زواجنا للمصلحة.

ـ هذا صحيح، ولكنني لا أرى سبباً حتى لا نتمتع سوية طالما زواجنا قائم.

وحدقت به كارولين بصمت، ثم أملى الفزع عليها التصرف، واسرعت بالمرور أمامه باتجاه الباب.

ـ سأغادر المكان!

وقبضت أصابعه على رسغها بقوة قبل أن تتجاوزه وطوح بها بخشونة لتستدير وتواجهه.

ـ أوقفي هذا الفصل الدرامي، واصغي للمنطق، علينا مشاركة نفس الغرفة ونفس الفراش، إذا أردنا إقناع إيزابيل بأننا متزوجان فعلاً، وصدقيني، ستحتاج الى الاقتناع بأن هذا الزواج ليس مدبراً لخداع ابنها روسل واخراجه من الميراث الذي هو من حقي. أنت مدينة لي بهذا، أتذكرين؟

ـ أظن أنني بدأت بكراهيتك.

ـ ولدي شعور بأنك ستكرهيني أكثر من الآن وحتى تنتهي مدة زواجنا. تستطيعين استخدام الحمام أولاً.

وخلعت كارولين معطفها ودخلت غرفة الملابس وساقاها ترتجفان، وأغلقت الباب وراءها. في الخزانة وجدت ملابس غوستاف معلقة قرب ثيابها، وفجأة انقلب الوضع الى كابوس مما جعل الدم يتجمد في عروقها. واستحمت بسرعة وارتدت ثياب نومها الشفافة ووضعت فوقها غلالة حريرية واسعة، ودست قدميها في خفين رقيقين. وعند الباب المؤدي الى غرفة النوم توقفت قليلاً. لم تظهر من قبل أمام رجل في ثياب النوم ما عدا والدها، التفكير بغوستاف وهو يشاهدها في ثياب النوم ملأها الخجل. إنه زوجها، هذا الرجل الذي عليها أن تشاركه الفراش ليجعلا زواجهما يبدو مقنعاً. والسماء وحدها تعرف ماذا عليها أن تتحمل. خلال فترة ساعات اكتشفت أنها قادرة على حبه وكراهيته بالقوة ذاتها.

ثم دخلت غرفة النوم، وكان يتمدد على كرسي وعيناه مغلقتان والسيجار بين أصابعه. وكان قد خلع حذاءه وجواربه، ولكنه كان ما يزال يرتدي بنطلونه، وعندما دخلت الى داخل الغرفة أكثر، فتح عينيه، وتلاقت نظراتهما. واحست بوجنتيها تحمران، ولكن عندما تجولت انظاره على طول جسدها، أحست بالخوف والاحراج يتملكانها.

واستدارت نحو طاولة الزينة حيث وضعت تيلي بعض اشيائها الخاصة، وتناولت الفرشاة وبدأت تمشط شعرها بضربات سريعة. كانت تحاول يائسة أن تبدو هادئة، ولكن قلبها كان يخفق باضطراب عندما نظرت في المرآة وشاهدته ينهض من مقعده. ثم استدار واختفى في غرفة الملابس، واغلق الباب وراءه

وشعرت كارولين بالارتياح، وخلعت غلالتها واندست في الفراش. ربما مع قليل من الحظ، ستكون قد نامت عندما يعود، وجذبت الغطاء الى تحت ذقنها، واطفأت الضوء على جانب الفراش واستدارت الى جانبها بحيث يكون ظهرها لغوستاف ولكن النوم جافاها. وسمعت صوت الماء في الحمام. وصفير نغم يصدر منه، الصفير نفسه الذي



سمعته من قبل عندما نامت في كوخه، ولكن أرقها كان ناجماً بشكل أساسي عن التوتر المتعاظم الذي استبدّ بكيانها لمشاركته لها في الفراش، وأدارت وجهها الملتهب الى داخل الوسادة، وتمنت أن تكون في تلك اللحظات في أي مكان ما عدا هنا.

واستلقت ساكنة وهي تحبس أنفاسها، رفتح باب غرفة الملابس، وشعرت بجسدها يتصلب، واغمضت عينيها متظاهرة بالنوم عندما احست بغوستاف يقترب من الفراش، ثم أخذ قلبها يدق بقوة وسرعة حتى اصبحت متأكدة من أنها تسمعه. ثم انتظرت وهي كالمشلولة بشعور مختلط من الخجل والخوف، ثم احست به يندس الى جانبها في الفراش، ويطفيء الضوء بحيث عمّ الظلام الغرفة.

ـ تصبحين على خير يا كارولين.

وهمست له، وهي تشكر الله على أن الظلام يخفي الاحمرار الذي توهج في وجنتيها:

ـ تصبح على خير.

وحاولت تجاهل واقع أنه يتمدد بالقرب منها وأن أية حركة قد ينتج عنها تلامس جسديهما، ولكن كلما حاولت أكثر، أصبح الأمر أسوأ.

ـ بحق الله يا كارولين، اريحي نفسك!

وأضاء النور وأدارها بخشونة على ظهرها فارضاً عليها النظر الى وجهه. وقالت له بتعاسة:

ـ أنا.. لم أنم مع رجل من قبل!

ـ يجب دائماً أن يكون هناك مرة أولى لكل شيء في الحياة.

وشعت عيناه بالسخرية، وأحست بالتوتر من وجوده، ومن منظر كتفيه العريضين اللذين يرخيان بظلالهما فوقها، وبلمسة يده على بشرتها.

ـ أظن أنك دون شفقة!

ـ أنا لست مهووساً، إذا كان هذا ما تخافين منه، ولا أنوي

الانقضاض على طفلة مثلك لأرضي رغبتي فقط.

ـ أنا لست طفلة!

ـ لا وحق السماء، لست طفلة.

ومرر يده على كتفها ليصل الى عنقها، وتنهدت، واختفت قدرتها على المقاومة، لتترك لها فقط تلك الرعشة الغريبة، وسرى الدفء في جسدها بشكل لم تفهمه، ولكن عندما ارتجفت بين يديه، تركها واستدار ليستلقي على الطرف الآخر من الفراش.

ـ نامي.. فلن أزعجك.

واستلقت كارولين وهي تحدق في الظلام لفترة طويلة، وهي تحاول تسكين قلبها المضطرب والخيبة العميقة لأنها حرمت من شيء لا تستطيع فهمه. وعلمت أن غوستاف يغط في النوم، وعندها فقط ارتاحت اعصابها وتثاقلت أجفانها ونامت.

لم تدري كم من الوقت نامت، ولكنها عندما استفاقت احست بثقل على خصرها، واستغرقها الأمر بضع ثوان لتدرك أنها ذراع غوستاف، واشتدت قبضة ذراعه عليها. وتلوّت تحت ذراعه في جهد كبير لتخلص نفسها، دون أن تفكر بأنها قد تكون ايقظته. واشتدت قبضة ذراعه على خصرها أكثر، وعرفت من تغير صوت انفاسه أنه لم يعد نائماً، ولكنه بدلاً من أن يتركها، جذبها الى قربه أكثر، وهمس في أذنها:

ـ يا الهي، هذا مستحيل.

لم يكن أمامها وقت لتحتج، ولا وقت للتخلص من قوة عضلات ذراعه التي تأسرانها. وشعرت برغبة بأن لا يتركها أبداً. ولكنها كانت خائفة، خائفة مما سيقودها هذا اليه، وخائفة من عدم قدرتها على المقاومة، ولكن عندما استمر غوستاف في شدها اليه، عاد اليها تعقلها، وجعلها باردة وبعيدة عن المشاعر التي غمرتها قبل لحظات.

ـ غوستاف.. لا!

ووضعت يداها على صدره، وحاولت جاهدة إبعاده، ولكن ثقل جسده كان يشد بها أكثر على طراوة الفراش. وقال لها:



ـ لقد فات الأوان!

فيما بعد، عندما كان يغط في النوم الى جانبها، كانت لا تزال تحاول إيقاف دموعها المستمرة في تبليل وسادتها، ومضى عليها فترة طويلة قبل أن تهدأ وتفكر بالنوم، ولكن عندما بدأ نور الصباح يضيء الغرفة، كانت لا تزال صاحية.

وجلست بسرعة وانزلت قدميها عن السرير، ولكنها توقفت عندما حاولت تناول روبها.

ـ كارولين...

ونظرت الى يده القابضة على ذراعها وشعرت بالخوف يضيق الخناق على حنجرتها.

ـ اتركني!

وتركها فوراً، وخاطبها بصوت جاف:

ـ كل النساء يتضايقن ليلة الزفاف، ستشعرين بالارتياح فيما بعد.

ـ لن يكون هناك شيء بيننا فيما بعد.

والتقطت روبها وشدت الرباط حول خصرها فقال لها ساخراً:

ـ لا تكوني واثقة من نفسك هكذا!

وتبعتها ضحكته الى غرفة الملابس، وفي تلك اللحظات اقتربت أكثر نحو كراهيته.

لم تستطع كارولين مواجهة غوستاف ذلك الصباح بسبب ما حدث بينهما خلال ساعات الليل المظلمة، وشعرت بالارتياح عندما اعتذر بعد تناول الفطور، ودخل الى غرفة مكتبه. واعطاها هذا فرصة لتؤقلم نفسها في المنزل. وامضت أكثر من ساعة وهي تتجول في العديد من الغرف في بعض منها كان الغبار يعلو الاثاث الأثري الذي لا يقدر بثمن. الصور العائلية التي كانت تغطي جدران قاعة الطعام الكبيرة، وجذب انتباهها لوحة محددة، لا بد انها صورة والد غوستاف، لأن القسمات القاسية الصارمة كانت متشابهة، والعينان المشعتان من النوعة

ذاتها وكان هناك فراغ على الجدار قرب صورة الوالد الصورة الأخرى لم تكن موجودة. كان يبدو على الجدار أثر تعليق صورة هناك ولكنها أزيلت لسبب ما. ووقفت متحيرة أمام باب مغلق حاولت فتحه. وجاءها صوت غوستاف من ورائها.

- لماذا لا تنصحني بهذا؟

- كان هذا المكان في السابق قبواً. واصبح الان فارغاً تماماً، ليس فيه سوى بعض الاشياء التي لا نحتاجها.

- يبدو انك تعارض أن يصبح القبو مخزناً للأشياء المهملة؟

- أنا أؤمن بالتجديد، وليس بالدمار. ولكن كثيراً من الاشياء اعتبرتها ايزابيلا غير ذات قيمة عندما استلمت هذا المنزل.

- مع ذلك أود رؤيته، لو سمحت.

وبدت عيناه مركزتان عليها، وذلك الوميض من السخرية عاد اليه وهو يتناول المفتاح عن الحافة فوق الباب.

- إذا كنت لا تنفرين من خيوط العنكبوت والغبار سآخذك إذاً الى الاسفل.

ووضع المفتاح في القفل وبعد لحظات انفتح الباب وهو يحدث صريراً. وحدقت كارولين الى الاسفل في الظلام الحالك للقبو، وتمنت فجأة لو انها لم تصر على رؤية ما يقع خلف ذلك الباب، لأنها شعرت بارتجاف داخلي يغمرها.



# ٦. المواجهة الأولى

واشعل غوستاف الاضواء. وفقد القبو الكثير من رهبته. ثم أخذ ذراعها وقادها نزولاً على السلالم الضيقة، التي بدت وكأنها تقود الى باطن الارض حيث بدت الرطوبة شديدة في البداية.

- هل تثير المنازل القديمة اهتمامك؟

- انها تثيرني جداً. لها ميزة خاصة.

- وللمنازل القديمة اشباح أيضاً.

- انت تحاول اخافتي، أشباح؟

- هل تؤمنين بالاشباح؟

- لم التقي بشبح من قبل، هل التقيت انت بشبح من قبل؟

- الخدم يشتكون من انهم في ليالي معينة يسمعون شخصاً يتنحب هنا في القبو. ونزلت في احدى تلك الليالي هنا واكتشفت ان الريح عندما تنفخ في اتجاه معين تدخل في شق في الجدار وتنتج أصوات تشبه صوت شخص يبكي بطريقة حزينة. هل هذا يجيب على سؤالك؟

- أتعتقد بوجود جواب بسيط لكل شيء؟

- عادة هناك جواب بسيط لكل شيء. هل شاهدت ما يكفي؟

- أظن ذلك.

ولكن عندما استدارت لاحظت شيئاً يقف فوق كومة من الصناديق موضوعة في الزاوية. ودون ان تستأذن، صعدت فوق عدة اشياء في

طريقها لتصل الى ما بدا لها صورة زيتية، وكانت موضوعة ووجهها بعيد عن الضوء، وادارتها كارولين وهي ممتعضة من الغبار الذي يعلوها، لتتراجع اعجاباً باللوحة المغطاة بالغبار لامرأة شقراء بيضاء البشرة، وعلى جسمها رداء ابيض والجواهر تزين رقبتها. كان هناك شيء مألوف فيها، بالجبهة العريضة وشكل عينيها بالأهداب الطويلة، ولكن كارولين لم تقدر على تمييزها في تلك اللحظة.

- لقد طلب والدي رسم هذه اللوحة لوالدتي بعد زواجهما بوقت قصير.

- ولم هي هنا عرضة للغبار؟

- كانت ايزابيل غيورة، وتحب السيطرة، وامرت بأن تنزع اللوحة من مكانها في قاعة الطعام.

- وهل اعترض والدك؟

- كان مشغولاً جداً بجمع المال، حتى انه لم يهتم بما يجري في منزله.

- هل لي أن انظف اللوحة واعيدها الى مكانها؟

- إذا احببت ذلك. قد ابتهج بمراقبة ردة فعل ايزابيل عندما تلاحظ هذا.

- لم أكن افكر بايزابيل عندما اقترحت هذا.

- هل ظننت انه سيسعدني أن أرى صورة والدتي في مكانها الصحيح؟

كان مصيباً. لقد فكرت أن الامر سيسعده، ولكنها لم تكن تريده ان يعرف في الواقع، كان لديه الوقت الكافي لانقاذ اللوحة من قبرها المغبر، ولديها هي أيضاً الوقت الكافي لتعرف سبب عدم اهتمامه. وقالت له شارحة وجهة نظرها:

- انها خسارة فظيعة أن يترك مثل هذا العمل الفني ليبلى في القبو.

- أوافق معك.

وأمام دهشة كارولين، ساعدها غوستاف بحمل اللوحة من القبو وساعدها أيضاً على تنظيفها من الغبار وخيوط العنكبوت العالقة بها.



وكانت فخورة بمجهودهما عندما علقاها أخيراً على الحائط قرب لوحة صورة والده.

- هل كانت امرأة صغيرة الحجم؟

- أجل.. صغيرة وجميلة، تشبهك على ما أعتقد.

- وانت تشبه والدك. تشبهه كثيراً.

- أبي كان رجلاً من الصعب ارضاءه، ولكنه لقي ما يستأهله على يد ايزابيل. لقد كانت قاسية ودون شفقة عندما يتعلق الامر بما تريد.

- وما يجعلك تعتقد انها لن تنجح هذه المرة في الحصول على ما تريد؟

- هذه المرة ستتعامل معي، وليس هناك من طريقة لتجاوز واقع انني اتممت شروط الوصية. فلدي زوجة بكل ما في الكلمة من معنى، أليس كذلك؟

وتصاعد شعور خانق الى حلقها، مما جعلها تبتلع ريقها بصعوبة، وهي تستدير مبتعدة عنه، ثم قالت:

- أظن انني احب أن أخرج لأتمشى.

- لدي فكرة افضل، سنذهب في السيارة لنسير على الشاطىء ثم نتوقف عند مطعم ما لتناول الغداء.

ودون أن تناقش وجدت نفسها تلتف بالمعطف الذي تملكه، وتجلس الى جانبه في سيارته الجاكوار الفضية، وهو يقود باتجاه طريق يمتد على طول خليج «فولس باي». كارولين كانت قد مرت عدة مرات على هذه الطريق، ولكن مع غوستاف كانت تجربة جعلتها تشعر وكأنها تراها لأول مرة. كان يعرف تاريخ كل قرية صغيرة وكبيرة، واستولى على انتباهها بسرد أحداث لم تسمع بها من قبل. فعند خليج «كالك باي» مثلاً توقف ليقول لها ان اسم كالك يعني الطبشور، حيث اقيم هنا مصنع صغير له. في القرن السابع عشر ولكن المكان الآن لا يحتوي سوى على قرية صيد صغيرة. وعندما وصلا الى مكان يدعى «هاوت باي» وقفا أمام مطعم لتناول الغداء.

كانت كارولين تركز افكارها على الرجل الجالس قبالتها أكثر من طبق الكركند الذي طلبته، وعندما لمست ركبته صدفة تحت الطاولة، شعرت برجفة لذيذة تعتريها. وكان غوستاف مضيفاً رائعاً وشعرت بنفسها تقع تحت سحره حتى اقتنعت بانها منومة مغناطيسياً بسحره.

في طريق عودتهما الى «لاروش» عاد اليها هدؤها، واحس بها، فوضع يده على خصرها وكان لهذه اللمسة الاثر المطلوب وعادت مرة ثانية الى الاضطراب ووصلا الى «لاروش» ولف ذراعه حولها، دخلا المنزل وعبرا الردهة، وصعدا الى غرفة نومهما. وعرفت كارولين ماذا سيحدث الآن بعد أن أغلق الباب خلفه وجذبها بين ذراعيه. وشعرت بعدم قدرتها على مقاومة ما سيحدث. وهمست له قائلة:

ـ غوستاف، اوه.. غوستاف ارجوك!

ثم تلاشى صوتها تحت ضغط ذراعيه.

عندما افلتها بعد ذلك، عاد اليها تعقلها، فاسرعت الى الحمام حيث غمرتها موجة بعد أخرى من الخجل، لقد أحبت غوستاف، احبته بطريقة لم تتصور ابداً انها ممكنة. ولكنه حتى الآن لم يعط أي دليل على انه يهتم بها. والجزء الاكثر ايلاماً في هذا كله انها تعلم علم اليقين بانه لن يحبها ابداً.

واغتسلت ثم ارتدت ثيابها تحضيراً للعشاء. وعندما خرج غوستاف بعد أن استحم وارتدى ثيابه، نظر الى نظراتها الساهمة وقال:

ـ هاي... انها ليست نهاية العالم، انها بدايته لك.

وارتفع رد غاضب الى شفتيها. ولكنه مات بسرعة عندما واجهت نفسها بالحقيقة. فعالمها سينتهي يوم لا يعود غوستاف بحاجة اليها.

كان صمت غوستاف عند تناولهما العشاء غريباً، وفيما بعد عندما جلسا أمام النار في غرفة الجلوس، استخدم غليونه بدلاً من السيجار، ووجهه كان يعلوه ذلك التعبير الساهم الذي لاحظته عليه منذ المرة الأولى التي قابلته فيها. ولكن هذه المرة لاحظت حزناً بدا لها غريباً.



قد يكون هذا وهماً وعاد تفكيرها الى المستقبل فسألته:

ـ ماذا تتوقع مني عندما تصل ايزابيل وعائلتها؟

ـ أتوقع منك ان تتصرفي كأي زوجة مخلصة عندما يكون مستقبل زوجها مهدداً. كوني مستعدة لأي شيء، من ايزابيل ومن روسل. ايزابيل هي القوة الكامنة وراء كل شيء، بينما روسل ينفذ كل ما يقال له.

ـ يبدو انه ضعيف الشخصية.

ـ لا أقول هذا تماماً، ولكن ايزابيل ذكية جداً، وكثيرة التسلط.

ـ هل كانت متسلطة عليك في طفولتك؟

ـ بالطبع لا، والا لما كنت أنا عليه لو نجحت. المهمة التي تنتظرك ليست هينة، وقد تجدين نفسك تتمنين لو قبلت بعرض ماكسويل هيلتون بدلاً من عرضي.

ـ اوه... لا... ابداً! أنا...

وتوقفت بارتباك، وقد احمر وجهها، ونهضت بسرعة على قدميها المهتزتين بالاضطراب وقالت:

ـ سأصعد الى غرفتي إذا كنت لا تمانع.

ـ كارولين!

واوقفها صوته قبل أن تبلغ الباب. وجذبت يداه القويتان كتفيها.

ـ ايمكن هذا، ان تكوني قد قررت انك تفضلين حبي على ما كنت ستعانينه بين يدي هيلتون؟

ـ اظن انك كريه. ما حدث ليلة أمس ما كان يجب أن يحدث، وانا خجلة للطريقة التي تصرفت بها بعد الظهر.

وادارها لتواجهه، ورغماً عنها التقت عيناها بعينيه، ولكنها خفضتها فوراً حتى لا تأسرها نظراته مجدداً:

ـ لم أندم على اي شيء حدث ليلة أمس، وبعد ظهر اليوم كنت راغبة بي كرغبتي بك تماماً.

ـ اتركني! أكره أن تلمسني!

وامسك برسغيها وجذبهما خلف ظهرها

ـ شفتاك تقولان شيئاً، و عيناك تقولان شيئاً مختلفاً، أتساءل من أصدق؟

ـ أكرهك!

ـ الكراهية عاطفة ايجابية، واظن انها تعجبني فكلما كرهتيني أكثر يا عزيزتي، أجد نفسي أرغب بك أكثر.

وحملها بين ذراعيه وصعد بها السلم ودخل الى غرفة النوم واغلق الباب وراءه.

ـ ايتها القطة المتوحشة! تحتاجين الى المزيد من الترويض، وسأولمك أكثر إذا حاولت مقاومتي.

ولم يكن هناك خلاص من قساوة يديه، ولكنهما أثارا فيها الرغبة التي سرت في شرايين جسمها، واستسلمت له أخيراً.

عندما استفاقت صباح الاثنين وجدت مكان غوستاف في السرير فارغاً. ما عدا ورقة وجدت مكتوب فيها.

«كارولين، ليلة أمس كانت مفاجئة لنا معاً، ولكن لا تنسي انك ما زلت صغيرة، وان لا شيء يدوم الى الابد، فأنا أول رجل تعيشين معه. وارجو ان تتذكري انني دون شك سأكون غير صبور لانهاء تعاوننا معاً بعدما اتخلص من الازعاج الذي تزوجه والدي مرة. لن أعود الى المنزل قبل السادسة لذا أرجو تأخير العشاء حتى السابعة»

وسقطت دمعة على الورقة، ثم طوتها على شكل كرة بين يديها الباردتين. هل استجابت كثيراً له ليلة أمس بحيث شعر بالضرورة لتحذيرها؟ تساءلت وموجة من الاذلال تسري فيها. على الاقل يمتلك اللباقة الضرورية حتى لا يواجهها شخصياً بشكوكه. ولكن السماء وحدها تعرف كيف ستستطيع مواجهة عواطفها التي لا طائل وراءها في المستقبل. وحاولت تمزيق الورقة ولكنها تراجعت وفتحتها ثم وضعتها بترتيب بين أشياءها الخاصة، ستكون هذه تذكرة لها خلال اقامتها هنا



في «لاروش» إذا حاولت الخروج عن الخط المرسوم، بأن لا تتعلق روحها بذلك الرجل الذي اوضح انه لا يهتم بها إلا بمنظار مصلحته.

في المساء، وبعد تناول العشاء، دخل مكتبه وشعرت بالراحة، وكانت تغط في النوم عندما آوى الى الفراش.

في الصباح التالي وعلى مائدة الفطور، ساد صمت مريع الى أن دفع غوستاف اليها شيكاً عبر الطاولة. ونظرت الى الشيك لحظة، ثم لاحظت انه صادر باسمها، والمبلغ المسجل عليه جعل عيناها تتوسعان.

ـ أريدك ان تشتري لنفسك بعض الثياب اللائقة.

ـ سأكون ملعونة إذا فعلت!

ـ كونك زوجتي اطالبك بان ترتدي الاشياء المناسبة، ولا تظني انني سأصرف عليك قرشاً واحداً لو لم يكن بهدف واحد هو ظهورك بمظهر لائق أمام ايزابيل.

واخفضت عينيها أمام قوة نظراته لتقول:

ـ لقد أوضحت السبب لي تماماً.

ـ اشكر الله انك فهمتي. اقترح عليك ان تقومي بالتسوق اليوم. فمن المحتمل ان تصل عائلتي غير المرغوب فيها غداً.

ـ هل وصلتك أخبار عنهم؟

ـ بشكل غير مباشر، فلدي مصادر معلومات خاصة بي وبحق الله، امسحي هذه النظرة المرتعبة عن وجهك والتي تجعلك تبدين صغيرة وخائفة، وهذا كل ما تحتاجه ايزابيل لتشك بأن زواجنا ليس كما هو مفروض به أن يكون.

ـ أنا آسفة.

ـ إذا كان هناك شيء لا احتمله، فهو امرأة لا تحتاج إلا الى دافع بسيط لتنهمر الدموع من عينيها.

وقفزت الى رأسها عدة ردود، ولكنها عضت بقوة على شفتيها المرتجفة وهي تراقبه يرتشف قهوته، ثم يخرج من الغرفة، وعندما تحركت سيارته مبتعدة التقطت الشيك ونظرت اليه، ثم وضعته في جيبها.

طالما حلمت كارولين بالذهاب الى التسوق كما تفعل في هذا الصباح. ولكنها لم تكن سعيدة لأن تشتري الثياب فقط من أجل التعمية أمام عائلة غوستاف. وتركت الاختيار للبائعة التي بدت تعرف تماماً ما هو المطلوب، وما يناسب الزبون وازداد اعجابها بالبائعة عندما اقترحت عليها قص شعرها بطريقة جديدة لتناسب مظهرها الجديد.

المظهر الجديد. أجل اعجبتها الفكرة. كانت ستخلق مظهراً جديداً لها لتناسب وضعها بصفتها السيدة غوستاف دوليو. السيدة غوستاف دوليو «المؤقتة». وشعرت بانها شاذة مع نفسها، وأحست بفمها يتقلص بألم بسبب افكارها.

سيارتها كانت مليئة بالمشتريات عندما وصلت الى «لاروش» في وقت متأخر من بعد الظهر، وكان غوستاف قد وصل قبلها، ولكنه كان في غرفة مكتبه، ولا يريد أن يزعجه أحد. هكذا قالت لها تيلي عندما أقبلت لمساعدتها.

واغتسلت قبل أن ترتدي أحد الفساتين الجديدة، واختارت فستاناً صوفياً بقبة واسعة تبرز جمال رقبتها الناعمة، لونه أزرق فاتح يناسب لون عينيها، وكانت قد قصت شعرها ليصل فقط الى كتفيها. وعندما نظرت الى المرآة وجدت أنها أصبحت تمتلك أناقة مميزة، ولم تعد تبدو بريئة كالاطفال، بل حل مكانها مظهر امرأة، تمر بتجربة حب غير حكيمة. ثم توجهت لتنزل الى الطابق السفلي.

تناهت اليها أصوات صادرة من ناحية غرفة الجلوس، مما دفعها إلى التوقف عند أسفل الدرج. وكان باب غرفة الجلوس مغلقاً لابقاء الدفء في الداخل، ولم تكن هناك طريقة أمام كارولين لتعرف ما إذا كان ضيوف غوستاف قد حضروا بقصد العمل أم لقضاء وقت ممتع. هل تدخل؟ أم تختفي بهدوء؟ من الصعب أن تعرف ماذا يتوقع غوستاف منها أن تفعل، ولكن ضحكة نسائية دفعت الفضول اليها، وقررت أن تفرض نفسها، ولكن بشكل لائق ومميّز. وعبرت الردهة،



ودخلت غرفة الجلوس. وتوقف الحديث فجأة، وتوجه تركيز انتباه المجموعة الموجودة الى كارولين. حدثت مفاجأة في البداية ثم تحولت الى نوع من الفضول، ولكن غوستاف مد يده نحوها وبدا ان اثنين من ضيوفه الثلاثة، استرعى انتباههم نظرته المميزة اليها.

لم تكن ابتسامته ساخرة أبداً، بينما كانت أصابعه تمسك بأصابع كارولين، وشيء ما في عينيه حذرها بأن لا تعارض عندما جذبها الى قربه ووضع ذراعه حول خصرها.

ـ حبيبتي..

بدا ترحيبه بها طبيعياً، ورغماً عن إثارته لبعض السرور في نفسها إلا أنها عرفت أن ذلك عائد لوجود الضيوف.

ـ أحب أن أعرفك بإيزابيل، وابنها روسل وزوجته نيكولا. كارولين زوجتي!

كان باستطاعة المرء أن يسمع رنين الدبوس خلال الصمت الذي تبع كلام غوستاف، ولكن أول شخص استعاد قدرته على الكلام كانت إيزابيل، فنهضت بطريقة لا يمكن وصفها إلا بطريقة نهوض ملكة، ثم تفحصت كارولين من رأسها الى أخمص قدميها، بعينين سوداوين مخيفتين قبل أن تستدير لغوستاف.

ـ إذا كان هذا نوع من المزاح يا غوستاف، اقترح عليك إذاً أن تتوقف فوراً عن المزاح. فكلنا نعلم كراهيتك للزواج، وتفضيلك لتغيير صديقاتك من النساء كما تغير عادة قميصك! من هذه الفتاة؟ وماذا تفعل هنا في «لاروش» أم أنك أصبحت الآن متهوراً في علاقاتك المتعددة إضافة إلى حماقتك لاختيار امرأة في عمر قد تكون فيه ابنتك؟

قول ايزابيل اغضب كارولين، ونسيت توترها وأجابت:

ـ أنا لست طفلة، كما أنني لست عشيقة غوستاف، أنا زوجته، وساشكرك إذا تذكرت هذا.

ـ أنت لست سوى فاجرة وقحة!

وقال لهما غوستاف محذراً:

- هذا يكفي يا إيزابيل، أحببت هذا أم لا، كارولين زوجتي، وإذا كنت ترغبين بدليل مكتوب، سأعطيك إياه.

- لن تنجو بفعلتك هذه، أنا أحذرك، لن تنجو بفعلتك هذه!

وتدخل روسل.

- أمي... إنها صدمة لنا جميعاً، ولكن لا يجب أن ننسى اخلاقنا، وتمتنع عن تقديم التهنئة لغوستاف وكارولين.

وبطريقة غريبة، قبلت ايزابيل نصيحته وبعد أن جاهدت بشكل ملحوظ للسيطرة على نفسها، تكلمت بشكل مناسب، ووجدت كارولين صعوبة في تقبل تهنئتها بصدق، ووجهت اهتمامها الى روسل.

ووجدته كارولين نسخة ثانية من والدته، طويل، نحيل وأسمر، ويمتلك الكثير من قسمات وجهها ولم تستطع إلا أن تلاحظ أنه يملك مظهراً جذاباً. ولكن هناك شيء فيه جعلها تقرر أن تتعامل بحذر في المستقبل مع شقيق غوستاف بالتبني.



# ٧. الحب الاسير

لم تعرف كارولين فيما بعد كيف استطاعت أن تتحمل تلك الامسية المشحونة بالتوتر، ولكن من بين اقرباء غوستاف الثلاثة فضلت نيكولا. كانت شابة شعرها أسمر محمر، وجميلة، وبدت قليلة الكلام، ولكن من الواضح أنها تحب زوجها اللطيف الوسيم، كذلك كان من الواضح أنها كزوجها قد سمحت لنفسها أن تصبح تحت سيطرة حماتها، وبالنتيجة أصبحت شخصاً مثيراً للشفقة لم تقدر كارولين أن تمنع نفسها من الشفقة عليها.

عندما كانوا في طريقهم لتناول العشاء تلك الليلة، توقفت ايزابيل فجأة مسمرة في مكانها عندما كانوا يدخلون قاعة الطعام وقالت بغضب:

- ماذا تفعل صورة ليليان هنا؟

والتفتت إلى غوستاف وعيناها تقدحان شرراً:

- إنها فكرتك، كما اعتقد.

وتدخلت كارولين، واجتذبت تلك النظرة النارية بعيداً عن غوستاف الذي وقف دون حراك قربها.

- في الواقع أنها فكرتي.

- سوف تتأكدين بنفسك أن أول شيء يفعله الخدم في الصباح هو إزالتها.



www.elromancia.com

واعلن غوستاف بصوت بارد وثابت.

ـ صورة والدتي ستبقى مكانها. وكل من سيجرؤ على إزاحتها سأحاسبه بنفسي على عمله.

وتوقعت كارولين أن يحدث انفجار، بعد أن اصطدمت نظراتهما، ولكن، وبشكل عجائبي، لم يحدث شيء وجلسوا أخيراً بصمت لتناول الطعام. وفي وقت متأخر من تلك الامسية سألت ايزابيل غوستاف:

ـ متى تزوجت؟

ـ صدقي أو لا، وصولكم قطع علينا شهر العسل. لقد تزوجنا منذ بضعة أيام فقط، في الواقع السبت الماضي.

واحمرت وجنتا كارولين وتسارعت نبضاتها، ولكن لم تدر إذا كان السبب هو ذكر كلمة «شهر العسل» أم أنه الشعور الذي تسببه تلك الاصابع التي أحست بها على ركبتها، وعلقت إيزابيل ساخرة.

ـ كم هو أمر غير ملائم لكما معاً!

واستمرت اصابع غوستاف بالضغط على ركبة كارولين حتى أصبح لونها أكثر احمراراً وتطلعت اليه فقال بسرعة:

ـ انت تحمرين خجلاً بشكل فاتن يا عزيزتي، ولكن الطريقة الوحيدة لتجنب هذا ان تتجاهلي ملاحظات ايزابيل، فهي اكثر شخص يفتقد اللياقة ممن أعرفهم.

ـ هذا القول يأتي من شخص فظ غليظ مثلك اعتبره أنا مجاملة.

وعاد الوضع الى حافة التفجر، وعندما التقت نظراتها بروسل قال:

ـ لا تهتمي كثيراً لكل هذا، فالتآلف في هذا المنزل هو شيء غريب عندما نكون معاً كعائلة!

والتفتت ايزابيل نحوه وقالت بحدة:

ـ اسكت يا روسل! لم يطلب منك أحد التدخل.

ـ آسف يا أمي.

وهز كتفيه دون اكتراث فصرخ به غوستاف بخشونة.



ـ ما أنت يا روسل؟ رجل أم فأرة؟

فردت عليه ايزابيل بصوت يحمل كل غضبها.

ـ هو يعرف من أي جهة يستفيد، وهذا كل ما استطيع قوله لك!

ـ وهذا ما يزعجك اليس كذلك؟ لن اضطر الى تسليمك أي شيء بعد، وليلعني الله إذا فعلت!

ـ أنت وغد مغرور، وكان يجب عليّ أن أرميك خارج هذا البيت منذ أول يوم تزوجت فيه والدك؟

ـ للأسف أن والدي كان تفكيره سليم أكثر مما كنت تظنين.

عند هذا قررت كارولين أن تتدخل.

ـ ربما يجب أن أحضر لكم بعض القهوة.

ونهضت، وهي تتطلع الى من في الغرفة بقلق.

ـ إنها فكرة ممتازة يا كارولين، واصنعيها مرّة لو سمحت، فإيزابيل بحاجة لاستعادة عافيتها بعد كل الطاقة التي حرقتها هذا المساء.

ـ هل تحبين مرافقتي يا نيكولا؟

ـ نعم.. أنا.

وجاءها صوت ايزابيل الغاضب ليقاطعها.

ـ ابقي حيث أنت يا نيكولا، فأنت تعرفين ما قاله الطبيب حول الراحة وانك لا يجب أن تقفي كثيراً.

وشعرت كارولين بالشفقة على نيكولا وحدقت بايزابيلا وقالت:

ـ لدينا مقاعد في المطبخ اذا لم أكن مخطئة!

وأجابتها المرأة الكبيرة:

ـ أجل ولكنها قاسية وغير مريحة، وهي غير مناسبة تماماً لمن هي في وضع نيكولا الدقيق.

والتقت عينا كارولين بعيني نيكولا، فابتسمت لها معتذرة «أنا آسفة».

وزال عنها التوتر قليلاً وهي في المطبخ، ولكن عندما عادت الى غرفة

الجلوس وهي تحمل صينية القهوة، كان الجدال لا يزال مستمراً. والاهانات والاتهامات تتطاير جيئة وذهاباً عبر الغرفة وكأنها رصاص منهمر من مدفع رشاش. وتوقفت فقط لبرهة وجيزة عندما كانوا يحتسون القهوة، وعادت الامور كما كانت. ثم بادر غوستاف الى إنهاء المهزلة بقوله:

- لقد بدأنا نكرر انفسنا ايزابيل، اقترح أن نرتاح الليلة، ، النقاش مساء الغد.

- لديك حجة قوية للذهاب الى النوم.

- إهاناتك بدأت تضجرني يا ايزابيل وخاصة عندما يجب أن توجه اليك.

ونظر الى روسل، الذي لم يجرؤ على التدخل منذ اسكتته والدته، نظرة ساخرة.

- كن رجلاً لمرة واحدة. وابعد والدتك عن وجهي.

وقالت ايزابيل بفظاظة:

- أنت تنسى أن هذا بيتي.

- وبيتي أنا أيضا، طالما أحببت أن أبقى، «لاروش» هو بيتي.

ووجد روسل الشجاعة ليتكلم.

- تعالي يا أمي. فهذا الجدال لا يقودنا الى شيء وكلنا متعبون.

- للمرة الأولى أنت على حق، فأنا متعبة، ونيكولا مرهقة تعالي يا طفلتي، حان وقت نومك.

وغادر الثلاثي دون كلمة أخرى، وبعدما أغلق الباب خلفهم، استدار غوستاف الى كارولين وقال:

- احتاج لبعض القهوة.

- وأنا كذلك، أرغبها قوية ومُرّة.

- بالنسبة لعمرك القهوة تؤذي.

- لا تبدأ بالتعرض لعمري.



- ايزابيل على حق، فأنا تقريباً بعمر والدك.

- لا تكن سخيفاً.

- هل كنت تحبيني لو كنت أباك.

- بالطبع لا!

- أتفضلين أن أكون حبيبك؟

وأحست بنبضاتها تتسارع، ولم تعد تتحمل نظراته.

- أفضل تغيير الموضوع.

- حسن جداً.

ووضع فنجان القهوة على الطاولة، ووضع يداه في جيب سترته، وحدق بها لحظة ثم أجال نظره فيها بشوق جعل الدم يتدفق سريعاً في عروقها.

- تعجبني قصة شعرك الجديدة، ويعجبني الفستان. فهذا يجعلك تبدين ناعمة وانثوية، ومغرية تماماً.

- أرجوك غوستاف.

- أنت فعلاً تخجلين بسرعة.

وتجاهلت ملاحظته وغيرت الموضوع.

- هل هذه الامسية مثال لما سيمر علينا من امسيات للشهر والنصف القادمة؟

- لا أحد يستطيع تخمين كيف سنقضي أمسياتنا، ولكن عندما نجتمع أنا وإيزابيل من المؤكد أن يحصل بعض الإثارة.

- هل كان الأمر هكذا دوماً؟

- على الدوام.

- اشعر بالشفقة على نيكولا، إنها مكبوتة ومسيطر عليها تماماً.

- لا لزوم لها أن تقحم نفسها في هذا الوضع.

- لا يمكن للجميع أن يكونو أقوياء يا غوستاف.

- فيما عدا قليل من حمرة الخجل، لم الاحظ أنك تأثرت بإيزابيل.



elromancia.com

- ربما هذا بسبب أنني لست زوجة ابنها وأنك أنت لست روسل.
- أشكر الله على ذلك!
- وماذا سيحدث بعد؟
- ستذهبين الى الفراش معي.
- لم أكن اشير إلى هذا، وتعرف ذلك.
- إنه موضوع أهم بكثير، الا تظنين ذلك؟
- أرجوك، كن جدياً، ماذا سيحدث بعد؟
- سننتظر.
- ننتظر، ننتظر ماذا؟
- ننتظرهم ليقوموا بالخطوة الأولى.
- الأمر يبدو كلعبة شطرنج قاتلة.
- ولا تقللي من مقدرة خصمك.
- أظن أنني سأذهب الى سريري.
- إنه اقتراح مبهج.

وصعدا الى غرفة النوم، وأخذ غوستاف يطفيء الأنوار وهما في طريقهما، وعندما وصلا إلى الغرفة بدا وكأنه مشغول بأفكاره. وكانت كارولين تسرّح شعرها عندما خرج من غرفة الملابس، ووقف خلفها ونظر إلى عينيها القلقتين عبر المرآة. وعرفت ما يبتغيه:

- هذا لزام عليّ، اليس كذلك؟
- ماذا يعني هذا الكلام؟
- لو كنت أنا حصان سباق، إذاً لقلت أنك، راهنت بمبلغ ضخم عليّ، وهذا يجعلك في وضع تطلب فيه مني إرضائك، اليس كذلك؟
- هذا صحيح، فقد اشتريت لك كل شيء، وأنا اطالب دوماً بقيمة ما لي.
- سأشعر بالاسف عليك يوماً ما، عندما تكتشف أن مالك لا يشتري لك الاشياء التي تحتاجها أكثر.



- مثل ماذا؟
- الحب.
- الحب عاطفة مبالغ فيها، وليس لدي الوقت لها. كل ما ساحتاجه امرأة في فراشي من وقت إلى وقت، وامرأة كهذه يمكنني على الدوام أن أشتريها.
- كم أنت مثير للاشمئزاز.
- لقد اشتريتك اليس كذلك؟
- أنت تعلم جيداً أنني لست من ذلك النوع من النساء.
- تعنين أنه كان علي أن أشبك شهادة زواج بما دفعته، ولكن الامر سواء، وكمعظم النساء كنت راغبة في أن أشتريك.
- لا تجعلني أحتقرك أكثر مما أفعل حقيقة.
- تستطيعين احتقاري قدر ما تشائين، أنت جميلة حقاً عندما تكونين غاضبة، وهذا ما يجعلني أرغب بك أكثر.

وأشاحت بوجهها عنه، ولكن يده أمسكت بشعرها حتى أنها صرخت من الألم، وحاولت مقاومته، ولكن الدم كان يتدفق بعنف في شرايينها، واستجابت له بطريقة علمت بأنها ستحتقر نفسها بسببها فيما بعد، وكادت كلمة «أحبك» تخرج من فمها ولكنها توقفت عندما فتح الباب، ونهض غوستاف بسرعة واستدار نحو من دخل دون احترام لخلوتهما. ومن فوق كتفه شاهدت ايزابيل.

- أنا آسفة، لم يكن لدي فكرة أن هذه الغرفة مشغولة.
- المرة القادمة أقترح عليك أن تقرعي وتنتظري حتى يسمح لك بالدخول.

ابتسامة ايزابيل الساخرة انقلبت الى تكشيرة، ولكنها خرجت فجأة كما دخلت. وللحظات لم يتحرك أحد منهما. ثم جلس غوستاف ونظر اليها ساخراً.

- إنها تكذب! لا يمكن لها أن لا تلاحظ الضوء من عقب الباب.

ـ هذه الحركة الصغيرة مقصودة لتتأكد من أننا نتشارك الغرفة نفسها. وملإذا كان رباطنا الزوجي حقيقي.

كانت كلماته بلهجة الواثق مما يقول، وأعطى كارولين انطباعاً بأن ما حدث كان مدبراً، ولمعت عيناها بالغضب، لتفكيرها بأنه مشارك في تدبير هذه الحادثة المذلة التي مرت بها.

ـ أعتقد أنكم أكثر أناس اثارة للاشمئزاز ممن قابلتهم في حياتي، ولو لمستني بعد الآن سأصرخ!

ـ لن يكون هذا ضرورياً، فأنت تملكين جسداً شهياً، ولكن اهتمامي به أثر بما فيه الكفاية لاقناع ايزابيل بأننا زوجين حقاً، كما أردت لها أن تعرف.

وتصاعد الدم الى وجهها، ثم غادره بسرعة ليترك لونها شاحباً، ثم قالت:

ـ أي نوع من الرجال أنت؟

ـ أنا أعرف ما أريد، ولن يوقفني شيء عن الحصول عليه. ارتدي ملابسك ونامي. لقد خدمت غرضي لهذه الليلة.

لو أنه استخدم العنف الجسدي عليها لكانت الصدمة أخف، واغمضت عينيها لتخفي الألم فيهما، ثم اسرعت الى غرفة الملابس قبل أن يتحطم ما تبقى عندها من كرامة، لو أنها انفجرت بالبكاء.

لن تدع له فرصة اذلالها مرة أخرى بهذه الطريقة، أبداً! لقد تعلمت درساً ثميناً هذا المساء. ويبدو أنها من غير المحتمل أن تنساه.

عندما أفاقت كارولين في الصباح التالي، كان غوستاف قد غادر المنزل الى مكتبه، بعد نصف ساعة كانت قد اكملت ارتداء ملابسها وهبطت الى الطابق السفلي، وفي الردهة التقت بنيكولا، واعتذرت لها الفتاة بخجل:

ـ أنا آسفة حول ما حدث الليلة الماضية.

وللحظة اعتقدت كارولين انها تشير الى زيارة ايزابيل غير اللائقة الى



غرفة نومها. ولكن نيكولا غيرت لها الفكرة بأن قالت:

ـ أنا لست ضعيفة الصحة كما يحلو لايزابيل ان توهم الناس، ولكن من الاسهل ان يتبع المرء الطريق الاسهل.

ـ ولماذا يا نيكولا؟ فلك الحق بان تأخذي قراراتك بنفسك.

ـ انت لا تفهمين. أنا أحب روسل، على الرغم من تبعيته لامه، ولا أريد ان أخسره.

ـ ولمَ تخسرينه بحق السماء؟

ـ لقد كونت فكرة بالطبع خلال الليلة الماضية عن نفوذ امه عليه؟

وحدقت كارولين بالفتاة، التي تبدو أكبر منها بسنة أو سنتين، ثم بدأت عيناها بالاتساع بازدياد فهمها للامر.

ـ أتشيرين الى انها لو قررت طردك، سيتركها تفعل؟

ـ دون ان ينبس بكلمة! هكذا هي ايزابيل. من المفترض ان لا اتكلم معك. تسمي الامر مصادقة للعدو.

وجاء صوت ايزابيل بعد لحظات من أعلى السلم وقد لاحظت وجود كارولين.

ـ نيكولا؟ ماذا تفعلين هنا في هذا الوقت المبكر من الصباح.

ـ لقد نزلت لتناول كوب من الحليب، وكنت أسأل كارولين عن الطريق الى المطبخ.

ـ المطبخ من هنا في هذا الاتجاه.

ـ هكذا كانت تقول لي كارولين.

وتطلعت نحو كارولين وتمتمت «عذراً» واسرعت الى المطبخ.

واستدارت كارولين لتمضي في طريقها، ولكن يداً قوية امسكت ذراعها. وقالت لها ايزابيل:

ـ اريد التحدث معك.

وتركت يد كارولين وتوجهت نحو غرفة الجلوس واحست كارولين بالرغبة لأن تقول لها أن تذهب الى الجحيم، ولكنها غيرت رأيها ودخلت

الغرفة. وبعد أن اغلقت الباب سألتها ايزابيل:

- لماذا تزوجت ابن زوجي؟

سؤال ايزابيل المباشر اجفل كارولين للحظة، ولكنها استعادت هدوءها بسرعة وأجابت:

- تزوجته للأسباب العادية التي يتزوج لأجلها البشر.

- لا يمكن ان يكون من أجل الحب. فغوستاف لا يملك شعرة حب في رأسه، لذا فهناك سبب آخر. قيل لي انه عاشق ممتاز.

- بالتأكيد لن تتوقعي مني الاجابة على هذا السؤال، يا ايزابيل؟

وقالت ايزابيل ساخرة:

- آه.. كم انت متحفظة هذا الصباح!

ولكن كارولين صممت على السيطرة على اعصابها، بالرغم من انها لم تقدر ان تفعل شيئاً لايقاف الدم من التدفق الى وجهها.

- انا دوماً محافظة يا ايزابيل، وانا بالتأكيد لا اتطفل على الناس في خلواتهم دون أن يدعوني أحد.

- لو أنك تعرفين غوستاف بالقدر الذي أعرفه فيه، فلن تثقي به إذاً قيد أنملة. هل دفع لك مبلغاً مغرياً لتتزوجيه؟

- لقد دفع لي شرف طلبه مني الزواج، وهذا يكفي. هل تتناولين الإفطار الآن أم تنتظرين روسل.

- روسل نادراً ما يستيقظ باكراً. سأتناول الإفطار الآن.

- سأرسل لك الخدم ليحضروا لك الافطار.

- سأستدعيهم بنفسي، فهذا بيتي، ولا تنسي هذا ابداً.

- وبما انني زوجة غوستاف، فهذا بيتي ايضاً ولكن إذا كان لديك سروراً سرياً بقرع الاجراس للخدم، إذاً، متعي نفسك، أنا خارجة في نزهة.

وفتحت الباب، وعبرت الردهة، وسمعت صوت ايزابيل وهي تمضغ كلماتها بحقد:

- ايتها الساقطة الوقحة.



ولكنها لم تهتم لها، وفتحت باب المنزل وخرجت. كان اليوم بارداً ومليئاً بالغيوم، والمطر يتساقط كالرذاذ، ولكن كارولين لم تلاحظ ذلك وهي تسير نحو الباب الحديدي وتخرج منه. واصبحت على مسافة ما قرب الجادة التي تصطف الاشجار على جانبيها، عندما توقفت وسألت نفسها اين هي ذاهبة، ولكنها هزت كتفيها دون اكتراث وتابعت سيرها. وبدا المطر المتساقط على وجهها وكأنه يغسل روحها من المرارة والغضب، ولكن لا يمكن لشيء أن يخلصها من ذلك الشعور الذي يضغط على صدرها. وبدأ ذهنها ينتقل من حادثة الى أخرى، يرفض هذه ويحلل تلك، وأخيراً يتقبل الواقع باقتناع: انها تحب غوستاف مهما سبب لها من ألم.

ووقفت سيارة بقربها، ولكنها كان مستغرقة بأفكارها حتى انها لم تنتبه، الى أن فتح الباب ودعاها صوت رجل باسمها. واستدارت ثم اشرقت ابتسامة على وجهها وهي تستجيب الى الدعوة بالصعود.

- سعيدة برؤيتك يا دنيس.

وقاد السيارة الى مسافة قصيرة، ثم توقف في مكان مخصص لمن يرغب في التمتع بمنظر الوادي.

- لقد كنت عائداً من زيارة لأحد زبائن المصرف، ولم أصدق عيني عندما رأيتك تسيرين وحيدة تحت المطر. لم اعتقد أبداً أنني سأراك ثانية.

وبدت التعاسة على وجهه، عندما نظرت الى عيني الرجل الذي أملت في أن تتزوجه، من مدة غير طويلة. لقاؤه الآن لم يسبب لها السعادة ولا الدفء، فقط سرور فارغ لمقابلة شخص لا يعني لها الآن أكثر من صديق.

- لقد قلنا، للحياة معاً وداعاً، ولكن هذا لا يعني اننا لا نقدر أن نكون اصدقاء.

- لن نستطيع أبداً أن نكون صديقين يا كارولين. ليس الان، بعدما عرفت كم كنت غبياً عندما تركتك.

ـ زواجنا كان مقدراً له أن لا ينجح يا دنيس. لم أحبك حقيقة، واعرف هذا الآن.

ـ كانت صدفة لي عندما علمت بزواجك من غوستاف دوليو. فهو أكبر منك سناً بكثير!

ـ ماذا تعني ثمانية عشر سنة عندما تحب شخصاً ما؟

ـ ستعني الكثير عندما يشيخ وتبقي أنت شابة راغبة في التمتع بالحياة.

ـ لا أريدك ان تتكلم هكذا، هل تسمعني؟

ـ أنا آسف يا كارولين. فالغيرة جعلتني حاقداً، فلا تلوميني كثيراً.

ـ اظن من الافضل أن أذهب.

ـ انتظري! متى سأراك ثانية؟

ـ ليس من هدف للقائنا ثانية. فقد قلت بنفسك اننا لا يمكن أن نكون أصدقاء، وإذا كنا لا نستطيع اللقاء كأصدقاء، فمن الافضل ان لا نلتقي!

ـ انت محقة، بالطبع.

ـ انها افضل طريقة صدقني.. أنا...

ومرت بهما سيارة وتوترت اعصاب كارولين عندما لمحت روسل فيها. هل شاهدها، أم انه كان مشغولاً بالقيادة ولم يلاحظها؟

ـ ما الامر؟

ـ انه شقيق زوجي بالتبني، لقد مر بنا لتوه.

ـ وماذا في الامر؟

ـ لا شيء! لقد لمحته هذا كل شيء، وهذا ذكرني بانني يجب عليّ العودة فوراً الى المنزل

ـ كارولين...

ـ كانت رؤيتك ثانية ممتعة يا دنيس، وهذه المرة هي وداع حقيقي.

وخرجت من سيارته، وفي عودتها سلكت الطريق التي اتت منها، ولم تلتفت عندما سمعت سيارته تبتعد.



لو كانت تشك في مشاعرها من قبل فقد اصبحت الآن واثقة منها، فهي لم تحب دنيس أبداً، والحادثة التي أدت الى انفصالهما كانت في وقتها الصحيح، لأنها خدمتها في منع ارتكابها لأكبر غلطة في حياتها.

وتساءلت في قرارة نفسها «ألم يكن الزواج من غوستاف غلطة أكبر؟» ولكن السؤال بقي دون جواب، بوصول سيارة الى قربها للمرة الثانية ذلك الصباح.

ـ مرحبا، يا كارولين!

وجاءها صوت روسل محيياً ومال نحو النافذة وقال:

ـ اترغبين في أن أقلك الى المنزل؟

ـ شكراً لك، ولكني افضل أن أمشي.

ـ كما تشائين يا عزيزتي، ولكن الطقس غير مناسب للمشي، أليس كذلك؟

ـ اتمتع دائماً بالسير تحت المطر.

ـ اراك فيما بعد إذاً

بعد لحظات، وهي تراقبه يقود سيارته نحو «لاروش» علمت يقيناً انه شاهدها في سيارة دنيس، وبرز سؤاله امامها: ماذا سيفعل، والأسوأ، ماذا ستكون ردة فعل غوستاف عندما يمرر الخبر له؟

اللعنة! لقد أيقنت أن إيزابيل هي التي أرسلته ليتجسس عليها. وليس هناك من سبب آخر يجعله يعود بهذه السرعة الى «لاروش».

يجب عليها ان تكون حذرة أكثر في المستقبل، إذا كانت لا ترغب في افشال خطط غوستاف. فايزابيل وابنها سيذهبان الى ابعد مدى ليحصلا على ما يريدانه. ولقد شاهدت لتوها كم هما لا يأبهان للوسائل التي قد يستخدمانها في جهدهما للوصول الى اهدافهما.

# ٨ ـ حرب على جبهتين

خلال تناول طعام الغداء خلال ذلك اليوم بالذات، لاحظت كارولين نظرات روسل تتركز عليها من وقت الى آخر، وابتسم لها مرة، ليعطيها الانطباع بانه يشاركها سرها. وفكرت «انه يعرف»، ولم تشك بعد ذلك للحظة انه رآها في السيارة مع دنيس. وبقي ما سيفصل بهذه المعلومات سراً لديها. ولكن كان يبدو انه ينوي الاستفادة قدر المستطاع من هذا الامر.

عندما صعدت ايزابيل لترتاح، وأصرت على ان تفعل نيكولا الشيء نفسه، وجدت كارولين نفسها لوحدها على طاولة الغداء مع روسل، ودفعها الفضول لأن تبقى حيث هي، وهي تتناول كوباً اخر من الشاي.

واشعل روسل سيجارة. وهذه المرة الاولى التي تراه فيها يدخن، وتراجع الى ظهر الكرسي ليراقبها بوضوح وقد اصبحا الآن لوحدهما.

ـ اتعرفين، انك لست ذلك النوع من الفتيات التي تصورت ان تنجح في ان يغير غوستاف رأيه حول البقاء عازباً.

ـ حقاً؟

ـ لم أقصد مهاجمتك، أؤكد لك. الامر فقط ان غوستاف كان يبدو دائماً بانه يفضل النساء الطويلات المثيرات، ومع انك جذابة، فانت مختلفة تماماً عمن يفضلهن.



ورن جرس في عقلها يقول «احذري» ففعلت هذا تماماً وأجابت:

ـ اعتقد ان الرجل يفتش عن شيء مختلف عندما يختار زوجة.

ـ هل كنت تعلمين انه كان على غوستاف ان يتزوج قبل الخامس عشر من الشهر القادم؟

ـ إذا كنت تشير الى الشرط في وصية والدك بالتبني، فالجواب إذاً، نعم. فأنا اعلم بالأمر.

ـ هل اخبرك؟

ـ لا نخفي الاسرار عن بعضنا.

ـ الا يزعجك التفكير بانه قد يكون تزوجك لهذا السبب؟

ـ إذا كنت تحاول غرز الشك في ذهني، فلن تنجح يا روسل.

ـ كنت سأفكر بالامر لو كنت مكانك. فانت فتاة جذابة ولكنك لست من طرازه أبداً، ولمعرفتي التامة بغوستاف لا استبعد انه تزوج ليبقي ميراث العائلة لنفسه.

ـ له الحق بها أكثر منك.

ـ آه.. ولكن اتعرفين ريغارد العجوز كان لا يعتبره المرشح المناسب.

ـ ريغارد، كما اعتقد، والد غوستاف الراحل؟

ـ صحيح. بالنسبة لمن يفترض بها ان تكون زوجة غوستاف، انت لا تعرفين شيئاً عن العائلة، كما يبدو.

ـ اعرف ما فيه الكفاية، ولكن يبدو انك نسيت اننا لم نتزوج سوى منذ بضعة ايام.

ـ ولكنك كنت تعرفينه قبل الزواج طبعاً؟

ـ أجل طبعاً.

ـ منذ متى؟

ـ لما يكفي من الوقت.

ـ كان غراماً عاصفاً اليس كذلك؟

ـ ليس بالضبط!

ونهضت على قدميها مصممة على انهاء الحديث الذي لم يعطها المعلومات التي رغبت بالحصول عليها من ورائه.

- اعذرني، سأذهب الى فوق لأرتاح.

ونهض روسل، وظنت انه سيلحق بها ليتابع الموضوع، ولكنه بقي حيث هو، وعيناه تتبعانها الى ان خرجت الى الردهة.

وانتظرت كارولين رجوع غوستاف في تلك الأمسية بشيء من التخوف. فاذا كان روسل سيسبب لها الضرر فسيفعل هذا عندما يعود غوستاف، وما من وقت أفضل من وقت اجتماع الجميع معاً في غرفة الجلوس قبل ان يصعد غوستاف ليستحم ويغير ملابسه استعداداً للعشاء. وكانت كمن علق في فخ لا مجال للخلاص منه. ومرت الساعات، واعصابها تزداد توتراً.

عندما وصل غوستاف أخيراً ذلك المساء، كانت كارولين متوترة جداً، ولكن ما تخوفت منه لم يحدث، وازداد توترها عندما حان موعد جلوسهم الى طاولة العشاء. واثناء تقديم الدورة الثانية من الطعام التقت نظراتها بنظرات روسل، وعلمت ان اللحظة قد حانت، وبدأ روسل القول.

- بالمناسبة كارولين، هل كنت انت من شاهدت هذا الصباح جالسة مع رجل ما في السيارة؟

كل العيون اصبحت مركزة فجأة على كارولين، ولكنها لم تشهد أمام عينيها سوى وجه غوستاف المتجهم.

- أجل، كنت أنا، كنت أتمشى عندما صدف مرور دنيس. وتوقف، وتحدثنا لبرهة قصيرة.

كان تفسيرها موجهاً لغوستاف وليس لروسل.

- آمل ان تكوني دعوتيه لزيارتنا ذات مساء.

وحدقت كارولين بغوستاف، ثم فهمت، ودخلت في المشهد الذي يمثله على الموجودين.



- أجل، لقد فعلت، وقال انه سيتصل بنا عندما تسنح له الفرصة.

وسألت ايزابيل من طرف الطاولة الاخر وعيناها كعينا الصقر تراقبهما.

- من هو دنيس الذي تتحدثان عنه؟

فانبرى غوستاف مبادراً بالإجابة:

- انه صديق مشترك كان له الفضل في جمعنا أنا وكارولين. أليس كذلك يا عزيزتي؟

وشعرت كارولين بالغثيان، ولكنها لم تستطع الانكار أن هناك بعض الحقيقة فيما قاله. فلو لم يتصرف دنيس بتلك الخشونة لما أصبحت حرة لتتزوج غوستاف وسألها روسل:

- وهل من عادة دنيس أن يلتقطك بسيارته ليتحدث معك؟

السخرية في حديثه جعلت كارولين تغضب فصرخت بشدة:

- بالطبع لا!

وتدخل غوستاف ليقول برقة:

- لا تهتمي بما يقول يا عزيزتي. سيغير رأيه بدنيس عندما يلتقيه.

ونظرت كارولين الى غوستاف، وشعت عيناه محذرة اياها لعدم متابعة الموضوع. فهما يلعبان على ارض خطرة، ومن الافضل الابتعاد عنها باسرع ما يمكن.

وجاء دورها هذا المرة لتلقي نظرة متفحصة على روسل. على وجهه المزعج ومنظره كالرجل التائه، ولكن عندما اعادت النظر الى غوستاف وجدت عيناه الباردتان تستقران عليها، وعرفت ان روسل لم يفشل في اثارته.

مرت الساعات تلك الامسية، وبدت انها أهدأ من التي سبقتها، ولكن العاصفة انفجرت فوق رأس كارولين عندما خرجت من الحمام لتجد غوستاف، وقد خلع سترته وفك ربطة العنق وهو يذرع الغرفة كالحيوان الثائر. واسرع اليها ليمسكها من اكتافها بقبضة كادت

تحطم عظامها، وسرى الذعر في أوصالها لرؤية النظرة المرعبة في وجهه.

ـ ماذا ظننت انك فاعلة بحق الشيطان. اتقابلين هذا... دنيس.. من وراء ظهري؟

ـ اسمه دنيس ليندساي. وقت لك اننا تقابلنا صدفة.

ـ هذه قصة جميلة.

ـ ولكنها مع ذلك صحيحة.

ـ هل تدركين كم كان بامكانك ان تدمري خططي بسهولة؟ بهذا التصرف الاحمق؟

ـ لم يكن اللقاء مدبراً يا غوستاف، لقد تقابلنا صدفة، ولم أجد ضرراً في أن أقف للحظات واتحدث معه!

ـ هل تمتعت باستعادة ذكرياتك معه؟

ـ ماذا تعني بهذا القول؟

ـ آوه يا كارولين، هل تتوقعين مني أن أصدق بانكما لم تفعلا شيئاً سوى امساك ايدي بعضكما والحديث؟

ـ غوستاف! إن تفكيرك قذر!

ـ هل عانقك؟ هل أثارك عناقه كما يثيرك عناقي؟

هل جعلتك لمسته ترتجفين بالاثارة؟

ـ غوستاف أقسم لك انني...

ـ تقسمين؟ منذ بدء العالم كانت النساء تقسم بالاخلاص لأزواجهن على مختلف الاشياء المقدسة. ولكنهن كن ينسين القسم لحظة يمر رجل في افقهن.

ـ لا، هذا ليس صحيحاً!

ـ لم أطلب منك أبداً ان تقسمي على الاخلاص لي، لقد اشتريت اخلاصك، وهذا هو الفرق، فأنت مدينة بالاخلاص لي. وانا أطالبك به.



واصبح غضبها أقوى من خوفها في تلك اللحظة. ودفعت الكلمات لتمر عبر الضغط الذي تحسه على حنجرتها فقالت بصوت أجش:

ـ لا يجب عليك ان تستمر بتذكيري بانك اشتريت اخلاصي. وستحصل على ما تستحقه، سأساعدك على الحصول على ما تريد ولو أدى ذلك لموتي، وبعد ذلك لا أريد رؤية وجهك ثانية لما تبقى من حياتي!

ـ هذا يناسبني تماماً، ولكن حتى يحين ذلك الوقت، يا عزيزتي كارولين. سأطلب متعة مشاركتي في الفراش.

ـ أكرهك!

ورفعها بين ذراعيه وحملها نحو السرير. واسقطها عليه. وقال ضاحكاً

ـ هيا، ايتها الثارية الصغيرة. هيا اكرهيني كما تشائين.

ـ دعني وشأني! أرجوك، دعني.

ـ لا أستطيع، خاصة عندما تكوني ترغبين بي كما أرغب بك.

خلال الايام التي تلت كانت كارولين عرضة لتذكير غوستاف بمقدار رغبتها فيه التي اثبتتها تلك الليلة. واصبحت تتخوف من الليالي التي تتوقع فيها أن يفرض عليها رغبته فيها، حتى كاد التوتر ان يجرها الى الجنون. وكرهت الايام التي تعيشها في «لاروش». فهي لا تقدر ان تتحدث مع ايزابيل لأن المرأة كانت تحاول بكل طريقة ان تتلاعب على الكلمات لتخلق جواً بغيضاً. وعلى عكس تصرف ايزابيل، بدا تصرف روسل مشجعاً على العلاقات العائلية، ولكن كارولين كانت تتجنبه، ولكنه كان دائماً موجوداً حولها يلمسها ويطري جمالها، ودائماً عندما يكون غوستاف قريباً منها. كان يقوم بهذا برقة وذكاء، ولكن كارولين بدأت ترتاب في انه يحاول خلق انطباع مشكوك به. وما يبتغيه بقي سراً لها ولكنها لم تشك في انها ستكتشف غرضه مع الوقت.

وكانت نيكولا الوحيدة التي كانت تتكلم معها كارولين دون خوف من أن تحور كلماتها أو ان تتحول الى مصلحة شخص آخر، ولكن الفتاة



www.liilas-romancia.com

المسكينة نادراً ما كانت تنجو من عيني ايزابيل المراقبتين لها. ووجدت كارولين نيكولا تسير في الحديقة في صباح أحد الايام الاخيرة من الاسبوع الثالث لهم في «لاروش» وتطلعت عيناها تبحثان وراء نيكولا. التي بادرتها مؤكدة لها بابتسامة خجولة:

- أنا لوحدي، ايزابيل لم تتمكن من النوم جيداً ليلة أمس، وستبقى في الفراش وقتاً أطول هذا الصباح.

- نشكر الله على ذلك!

- لا ألومك على عدم محبتك لها. فأنا أيضاً لست مغرمة بها.

- انها تذكرني بنسر يحوم متربصاً قبل ان ينقض ليقتل فريسته.

- كم يناسبها هذا الوصف. هذا بالضبط ما تقوم به. تأخذ وقتها قبل الانقضاض للمطالبة بما تعتقد انه حقها. انها مصممة على الاحتفاظ «بلاروش» اضافة الى شركة بروتي للهندسة البحرية، وانت تعلمين ذلك.

- لن تحصل على ما تريد بعد أن تزوج غوستاف و «لاروش» ستبقى دائماً منزله.

- لا تستخفي بها يا كارولين. انها ذكية جداً، وعندما تكون يائسة، تصبح قاتلة.

- يائسة؟ لماذا تكون يائسة؟

- سامحيني، لقد قلت أكثر مما يجب، ولكن يجب أن أذكرك بان الوصية تنص صراحة بان على غوستاف ان يكون متزوجاً ويعيش مع زوجته ليطالب بميراثه.

وازدادت نظرات كارولين حدة ولكنها لم تتابع الموضوع. كانت ستقلل من شأن نيكولا لو لم تظهر بعض الولاء لزوجها ووالدته. ولكن ما قالته جعلها تفكر بما هو مخبأ لها ولغوستاف. فهي لم تنتبه جيداً لذلك الجزء الاخير من الشرط في الوصية. ولكن عليها أن تفكر كثيراً به في المستقبل، لأن شيئاً ما حذرها بان هذا ما كان يستهدفه كل من ايزابيل وولدها، التفريق بينها وبين غوستاف.



- هل تحبين ان يكون بيتك هنا يا نيكولا؟

- لو أن لدي الخيار لعدت الى ناميبيا اليوم. لقد ولدت هناك، وهناك التقيت بروسل، وأحب ان يولد طفلي هناك ايضاً.

- هل تحدثت بهذا مع روسل؟

- عدة مرات ولكنه يريد ما ترغب به امه، ولا يهمه شيء آخر، لم يتحدثا بشيء خلال الاشهر الماضية سوى بخلع غوستاف من ممتلكاته، كما يسمون الامر. وكدت اغشى من الضحك على منظرهما عندما وصلنا هنا وقدمك غوستاف كزوجة له.

- اتظنين انهما سيستسلمان ويقنعا بما حصلا عليه.

- ليس ايزابيل وروسل. فانهما دائماً يرغبان في المزيد، ولن يرتاحا حتى يحصلا على ما يريدان.

كانت هذه نهاية مقلقة لحديثهما، ولكن كارولين لم تكن تدري متى ستكون متورطة في مؤمراتهما لخلع غوستاف. وعندما جلسوا جميعاً لتناول الشاي على التراس، ذكرت كارولين بغباء بان عليها ان تقوم ببعض التسوق. فاقترحت ايزابيل بنعومة:

- لم لا ترافقها الى البلد يا روسل؟

وادركت كارولين فوراً ان تصرفات روسل في الفترة الاخيرة كانت بدافع من والدته كجزء من خطتها.

- آوه... لا.. ليس ضرورياً. فلدي سيارتي الخاصة وقاطعها روسل بلطف:

- سأكون مسروراً بمرافقتك. فلدي بعض الاعمال وسيكون من السخافة ان نذهب كل في سيارته.

كانت أكثر رحلة الى المدينة ضايقت كارولين. كانت مضطرة على الدوام أن تسحب يدها من يده، أو ازاحة يده عن ركبتها. ولم تشعر بالراحة إلا بعد أن افترقا في وسط المدينة المكتظة بعد الاتفاق على اللقاء بعد ساعة.

وتمهلت كارولين بوقتها لشراء ما تحتاجه من اشياء خصوصية. وهي تتأخر قدر المستطاع في عودتها الى حيث قال روسل انه سينتظر، ولكن لم يكن هناك طريقة اخرى للعودة الى «لاروش» سوى مع ذلك الرجل الكريه.

وجلست في سيارة روسل المرسيدس ووضعت ما اشترته على المقعد الخلفي، واستمرت صامتة بقربه، ولكنه أوقف سيارته في مكان فسيح الى جانب الطريق فالتفتت اليه وسألته بحدة:

ـ لم توقفت؟

ـ أحب منظر الجبال من هنا.

وكانت ابتسامته عريضة، ولكنه لم يكن يراقب الجبال، بل كان يراقبها، وبدأت تحس بالقرف.

ـ اظن اننا يجب ان نصل الى «لاروش» فوراً، قد حان موعد الغداء.

ـ لست مستعجلاً.

ومد يده عبر ظهر المقعد ومال باتجاهها، قائلاً.

ـ لقد بدأت ادرك لماذا تزوجك غوستاف. انت فعلاً رائعة الجمال.

ومرر أصابعه على خدها، فابعدت وجهها عنه.

ـ أرجوك! لا تفعل هذا!

ـ بشرتك ناعمة.

وقبل ان تتخيل ما قد يحدث، كانت ذراعاه من حولها.

ـ اتركني فوراً يا روسل!

ـ لا تكوني باردة هكذا يا حلوتي.

وضحك، ثم وجدت نفسها تقاومه كالشيطان لتتجنب ذراعاه وعناقه.

ـ حافظ على أدبك يا روسل! فاذا لم تحافظ عل ادبك سأخرج من السيارة وامشي بقية المسافة الى المنزل!



ـ انت تجعلين نفسك صعبة المنال اليس كذلك؟

وهجم عليها مرة اخرى ولكنها كانت مستعدة له، وامسكت به على بعد ذراعيها وقالت له ببرود:

ـ أنا لا أتلاعب بشيء، ولكنني متزوجة من غوستاف وانت متزوج من نيكولا، ولا تنسى هذا ابداً.

ـ أنا لم أنسى ان هناك زوجة تنتظرني في البيت ولكن ليس هناك من ضرر ببعض المغازلة، هل هناك ضرر؟

ـ أنا لا أرغب في ان اسبب تعاسة أكثر مما هو موجود فعلاً في «لاروش» ولكنك إذا استمريت بهذا سأخبر غوستاف بالامر.

عند ذلك تركها، ولكن النظرة على وجهه لم تعجبها عندما قال:

ـ سانكر أي شيء تقولينه طبعاً. وستكون كلمتك مقابل كلمتي.

ـ لا أظن انه سيأخذ بكلامك يا روسل.

ـ اتظنين هذا؟ يا حلوتي، هناك شيء آخر يجب أن تعرفيه عن الرجل الذي تزوجتيه، غوستاف لم يكن ليثق بامرأة من قبل، ولا أظن انك انت ستغيرين رأيه.

لم تكن كارولين في وضع يسمح لها بمناقشته، ولم ترغب حتى في ذلك، فهي تعرف غوستاف جيداً لتعلم ان ما قاله روسل حقيقي، ولكنها لن تدعه مهما كلف الامر ان يكتشف ضعف نفوذها عند زوجها.

ـ ارجعني الى «لاروش» أرجوك!

وأملت كارولين ان تكون هذه نهاية تحرشه بها، ولكن بعد بضعة ايام خاب املها عندما اكتشفت ان الامر لم ينته عند هذا الحد. فبينما كان غوستاف يأخذ دوشاً استعداداً للعشاء، نزلت كارولين الى غرفة الجلوس، وكانت الغرفة تبدو خالية، ولكنها ما كادت تدخل حتى فوجئت بذراعين قويتين تمسكان بها.

ـ علقت هذه المرة، ما رأيك بقبلة.



www.elromancia.com

- روسل هل تتوقف عن هذا فوراً!
- قبلة واحدة هذا كل ما أطلب!
- لا!

وبدأت تقاومه ولكن ذراعاه كانتا اقوى منها ولم تستطع تجنبه، وثارت ثائرتها، ولكنها استخدمت بعض الخدع، فتظاهرت بالاسترخاء، وظن دون شك انه تغلب عليها، ولكنها جذبت نفسها بقوة من بين ذراعيه، وافلتت، وفي تلك اللحظة بالذات وجهت اليه ضربة من قبضتها على ذقنه، فصرخ «اوه» ووضع يده على خده حيث علامة يدها دمغت وجهه، وقد اخذته المفاجأة، ولكنه في اللحظة التالية هاجمها وكانت عيناه تقدحان بالشرر.

- ايتها الشيطانة الصغيرة! سأنالك لأجل هذا!
- لو كنت مكانك لما حاولت ثانية يا روسل!

واجفل روسل للصوت المألوف الذي تدخل في الوقت الحاسم، واستدارت كارولين وهي تشعر بالارتعاد لتواجه الباب والرجل الواقف امامه.

- غوستاف!

وخرج اسمه من بين شفتيها بلهفة، وعلى الرغم من شوقها للاحتماء بين ذراعيه، الا ان شيئاً ما في نظرته سمرها في مكانها.

واستعاد روسل سيطرته على نفسه بسرعة، وبضحكة محرجة صغيرة حوّل اللوم الى كارولين.

- أنت بالتأكيد قد تزوجت مزعجة صغيرة غوستاف.

وانقبضت عضلة في فك غوستاف، وللحظة مخيفة من تلك اللحظات المتوترة شعرت وكأنه سيضرب روسل، ثم برزت ابتسامة متجمدة على فمه وتقدم خطوة الى الامام ووضع ذراعه على كتف كارولين.

لم تكن هناك راحة لها بتلك اللمسة، ولا أي دفء في عينيه، عندما ابتسم لها قبل ان يستدير الى روسل ويقول:



- اتظن انني لا اعلم هذا؟

وشعرت كارولين برغبة يائسة لشرح ما حصل واستدارت اليه.

- غوستاف.. أنا...

وقاطع محاولتها لأن تقول له الحقيقة دون أن تعرف لماذا.

- فيما بعد.

كانت ايزابيل ونيكولا تدخلان غرفة الجلوس، وكان عليها ان تضع شرحها جانباً لوقت آخر من تلك الامسية، ولكنها عندما أرسلت نظرات غاضبة باتجاه روسل، فاجأتها نظرة رضى على وجهه النحيل، وكأنه رجل قد نجح لتوه في تحقيق اغراضه، وفجأة عرفت ما دفعه الى التصرف هكذا... ومن... ولماذا...

اليأس، والقرف، والخوف، كانوا المركب الذي رافقها خلال بقية تلك الامسية، نيكولا لجأت الى فراشها بعد العشاء رأساً، ولكن ايزابيل وروسل بقيا فترة أطول على امل رؤية نتيجة تخطيطهما، دون شك، ولكن غوستاف لعب امامها دور الزوج العطوف دون اي خطأ كالعادة. وازداد شقاء كارولين، ومعه خوفها. لديها قطعة واحدة فقط من المعلومات قد تغير غضبه وريبته، ولكن من المشكوك فيه أن يصدقها. وعندما وجدت نفسها أخيراً وحدها معه، لم تعطها نظرته الباردة أي قدر من الشجاعة. ونهضت من كرسيها لتدفء يديها قرب النار وبدأت تقول:

- غوستاف، حول تلك الحادثة التي شهدتها هذا المساء...
- ما بها؟
- لقد تصور روسل انني اشجعه، ولكن هذه ليست الحقيقة، واظن انني اعرف لماذا تصرف معي هكذا.
- ليس لدي شك انه يجدك جذابة. كيف تشعرين نحوه، أريد ان اعرف؟
- هو متزوج، وانا كذلك!



www.elromancia.com

- وهل سيمنعك هذا من الدخول في علاقة مع شقيقي بالتبني؟

واصبح لون كارولين ابيضاً من الشحوب، ولزمها جهد كبير للسيطرة على الغثيان الذي ضرب معدتها قبل أن تتكلم:

- روسل فاسق قذر، ولكنني أحب زوجته نيكولا ولهذا السبب وحده لم أرغب في اثارة مشكلة بسبب نواياه غير المرغوب فيها.

- هذا كلام جميل ومنطقي يا حبيبتي!

- لا تدعوني بحبيبتك!

- لم الاحظ قبلاً انك تمانعين.

- لم أقدر ان أمانع بوجود ايزابيل وروسل، ولكن لا يوجد أحد هنا الآن بحاجة للإيحاء له باننا مغرمان.

- ربما يجب ان أنفذ معك خطط روسل لأؤثر بك.

وتقدم منها بسرعة البرق وامسكها بين ذراعيه واحتجزها سجينة بالقرب من صدره العريض، وصرخت بغضب وهي تقاوم لا ضد ضغط ذراعيه فقط بل ضد ضعفها.

- اتركني، اتركني..

- سأتركك عندما أكون مستعداً، وليس قبل ذلك. وحتى ذلك الوقت تصرفي كزوجة محبة، وتوقفي عن التصرف كما تصرفت مع روسل، أو فأنا...

- أو قد تفعل ماذا يا غوستاف؟

- قد اقتلك!

- ستكون بهذا قد خدمت ايزابيل واغراضها، الا تدرك بان هذا ما ترغب به فعلاً؟ الا ترى ان تحرشات روسل المقرفة بي كانت بقصد غرض واحد وهو ايجاد خلاف بيني وبينك على امل ان تجد نفسك دون زوجة في اليوم المطلوب؟ لقد اكتشفت اهدافهم، انهم يريدون ابعادي عن الطريق. واظن انهم سيفعلون أي شيء لتحقيق هذا!

- اللعنة! انت على حق! إذا ابتعدت عن طريقهم، سأكون قد وفيت بنصف المطلوب لاتمام شروط الارث.



- بالضبط! ماذا ستفعل؟

- ليس ماذا سأفعل أنا بل ماذا ستفعل سوياً. سنتركهم يعرفون انهم لم ينجحوا، وسنبدأ في هذه اللحظة.

وضمها اليه بشدة، واحست وكأنها انسحقت على صدره، ولم تستطع اصدار اي صوت، وعندما ترك لها أخيرا فرصة التنفس صرخت:

- غوستاف، أرجوك أنا...!

- اصمتي ايتها المعتوهة الصغيرة، ان شخصاً ما يراقبنا من خارج النافذة، لذا فأنا مصمم على ان يبدو الامر بيننا على احسن حال.

- غوستاف.. لم يعد يوجد أحد يراقبنا.

- ومن يهتم بهذا الآن، لقد بدأت اشعر بالسعادة.

- غوستاف.. أدعو الى السماء ان تتركني، أرجوك!

وصدرت عنه ضحكة ناعمة اعلمتها انه لن يستمع.

# ٩ ـ من أجل المال!

كانت كارولين تتشمس على التراس في صبيحة يوم أحد، بينما كانت ايزابيل تدبر أمر واحدة من عواصفها في المطبخ. كانت هناك سة من هواء الخريف على الرغم من ان الموسم يكن قد بدأ رسمياً، ولكنها كانت تحس بحرارة الشمس على ذراعيها وساقيها وهي مستلقية على المقعد تراقب العصافير وهي تبني اعشاشها على الاشجار، وفكرت كم ستبدو «لاروش» دون ايزابيل وروسل وكأنها جنة.

شعرت بطرف قبعتها الشمسية يندفع الى فوق عينيها بخشونة، وطوحت بساقيها الى الارض ودفعت قبعتها الى الوراء لتجد روسل يحدق بها. كان يحافظ على ادبه معها منذ ذلك الوقت الذي وجده فيه غوستاف وهو يحاول مغازلتها في غرفة الجلوس، وعلى الرغم منها وجدت رفقته ممتعة بعض الاحيان.

ـ لرجل لم يمض على زواجه سوى بضع اسابيع، فان غوستاف يتركك وحيدة دائماً، أليس كذلك؟

ـ لدى غوستاف اعماله ليعتني بها، ولا انوي ان أقف في طريقه.

ونهضت من مكانها وسارت بضع خطوات مبتعدة عنه.

ـ كم تبدين نبيلة بهذا القول. اتمنى لو تمنحني نيكولا هذا القدر من الحرية في ان أذهب وارجع كما أشاء.

ـ الا تعني انك تتمنى لو ان «أمك» تسمح لك بحرية أكبر؟



فأنا لا اظن ان نيكولا لديها الفرصة لتطالبك بشيء.

ـ انها مخلوقة صغيرة خالية من التشويق في بعض الاوقات اليس كذلك؟

ـ هذا القول ليس لطيفاً لتقوله عن المرأة التي رأيتها مناسبة لك كزوجة، والتي ستلد لك ولداً.

ـ لقد أحببتها عندما تزوجتها. ولكن لأمي طريقتها الخاصة في تدبير كل شيء، حتى زواجي.

ـ ولم تسمح لها؟

ـ لقد كانت امي على الدوام تفعل الأفضل لي.

ـ الا تظن ان الوقت قد حان لتقرر لنفسك ما هو الافضل لك ولنيكولا؟ عندما يولد الطفل هل ستسمح لايزابيل ان تغتصب سلطتك الأبوية ايضاً؟

لم تتوقع منه رداً ولا هو اعطى الرد، بل قال:

ـ اظن انني سأتمشى قليلاً في الحديقة.

ـ لو أخذت طريق بركة السمك لوجدت نيكولا هناك، واظن انها بحاجة لبعض المرح.

ـ النساء! كلكن سواء عندما تصدرن الاوامر. قال هذا مبتعداً.

ـ انه على حق هذه المرة. فالنساء كلهن سواء.

والتفتت وراءها الى مصدر الصوت لتجد غوستاف يقف عند الباب وهو يحمل السيكار بين اسنانه، وتقدم داخل التراس واستدار نحوها وتابع قوله:

ـ انهن يخدعن الرجل بابتسامة، ويصبح اسيراً قبل ان يعرف إلا إذا كان ذكياً كفاية لينجو بجلده في الوقت المناسب.

ـ ليست كل النساء مخادعات.

ورد عليها وعيناه تلمعان بالسخرية بعد أن أزاح السيجار من فمه.

ـ لقد عشت على قاعدة ذهبية لعدة سنوات، ان لا اثق بامرأة قط،

انهن يغرينك باجسادهن ويهمسن الاكاذيب في أذنك، ولكن اذا كنت من الغباوة بحيث تسقط في حبائلهن سينتهي بك الامر لأن تكتشف بانهن كن مهتمات بحسابك في البنك أكثر من اهتمامهن بك كرجل.

ـ هذا شيء رهيب ما تقوله!

ـ انا اؤمن بأن النساء يفعلن كل شيء لأجل المال.

ـ ليس كل النساء يا غوستاف.

ـ لا تستثني نفسك ايتها الزوجة العزيزة، فلولا حاجتك للمال لما وجدت الامر سهلاً لي لاقناعك بالزواج مني.

ـ هذا الكرم يؤذيني!

ـ انها الحقيقة، مهما يكن الامر.

ـ أجل انها الحقيقة، ولكنها ليست كما تصورها تماماً.

وامسك بذقنها ورفع رأسها لتواجه نظراته.

ـ أكنت ستتزوجيني لو لم يكن الامر من أجل المال؟

لو ان الظروف كانت مغايرة لقالت «نعم» ولكانت تزوجته ولو انه لا يملك قرشاً واحداً. ولكنها لن تستطيع ان تقول له هذا ابداً. فتابع قوله:

ـ سكوتك يؤكد اقوالي.

ـ هل كنت تزوجتني لو ان الظروف لم تفرض عليك اختراع زوجة لك؟

ـ لا لما كنت فعلت. لكنت خرجت معك عدة مرات، ولا شك في انني كنت سأنجح في اغوائك في النهاية. وفي اللحظة التي تبدأين ببعث السأم في نفسي، كنت سأرسل باقة زهور مع بطاقتي المعهودة «لقد كان لقاؤك ممتعاً، ولكن وداعاً».

للحظة قصيرة لم تتمكن كارولين من الكلام ولكنها ابتلعت ريقها بصعوبة وقالت:

ـ اظن انك شخص حقير!



ـ هكذا هي الحياة! مرحباً اليوم ووداعاً في الغد. ونادراً ما يكون هناك ندم في هذا.

ـ اشك ابداً في انك قاسيت عذاب الندم في حياتك. فليس لديك قلب يا غوستاف، فقط مضخة آلية. والاشياء الآلية لا تمتلك القدرة لاختبار العواطف الرقيقة.

ـ امتلاك قلب لا يجدي نفعاً عندما يتعلق الامر بالنساء. ففي الوقت الذي ينتهين فيه من أمرك، لن يكون لديك روح حتى.

متابعة النقاش بهذه الطريقة كانت كمن يضرب رأسه في الحائط، ولذا تركته واقفاً على التراس وذهبت نحو الحديقة تسعى للعزلة حيث الطيور والفراشات ستكون الشاهد الوحيد على دموعها التي بدأت تنهمر من تحت اهداب عينيها. لا يزال امامها ثلاثة اسابيع قبل ان تنتهي هذه المهزلة، ثلاثة اسابيع تجهل تماماً ما يكمن لها فيها من الاذلال والاهانة، واليأس الساكن في قلبها.

لم تكن مفاجأة لها عندما واجهتها ايزابيل على طاولة الفطور في أحد الايام بعرض ملأ نفسها بالاشمئزاز:

ـ كم يلزمك كي تخرجي من هنا، وتبقي بعيدة عن حياة غوستاف؟ قولي ما هو الثمن؟

في البداية صدمت كارولين ولم تتكلم، ثم قررت انها لربما لم تسمع أو لم تفهم بطريقة صحيحة، واخيراً اضطرت الى السؤال:

ـ هل تعرضين علي مالاً لأترك غوستاف؟

ـ هذا بالضبط ما اعنيه، كم المبلغ؟

ـ عرضك لا يثير اهتمامي.

ـ هل يكفيك خمسة آلاف، هذا المبلغ يبدو جذاباً؟

فكري بالامر خمسة آلاف جنيه مبلغ كبير لفتاة مثلك.

ـ لا حاجة بي للتفكير. لن أرتشي ابداً كي اترك غوستاف. واظن ان عرضك يبعث الى الرثاء!

ـ انا أعرف غوستاف، لن يستمر طويلاً في الاكتفاء بك وعندها ستكتشفين انك مضطرة ان تذهبي. ولو تركتي الآن فعلى الاقل سيكون معك مبلغ كبير في جيبك.

واشمأزت كارولين بداخلها من هذه المرأة، وبرود عكس كراهيتها لها قالت:

ـ لا أريد مالك يا ايزابيل. لا الآن ولا ابداً! إذا ارادني غوستاف ان اترك هنا، سأترك كما اتيت، بلا شيء في حقيبتي.

وخرجت من الغرفة دون ترك فرصة لايزابيل ان تقول شيئاً. وفي الردهة مرت بنيكولا، دون أن تراها، وصعدت الدرجات مسرعة لتصل الى حمى غرفة نومها. وجلست على حافة السرير وقد غلبت عليها موجة من الغثيان، وبدأ هذا الشعور بالتلاشي ببطء، وقد اصبح وجهها شاحباً.

يجب عليها ان تتحدث مع شخص ما، فهي غير قادرة على تحمل ضغط الاشياء في داخلها، ولكن من ذا الذي تستطيع ان تثق به؟ وحدقت بالهاتف لثوانٍ خالت انها لن تنتهي قبل ان يصبح ذهنها جلياً لتفكر بصفاء، ثم رفعت السماعة، وطلبت رقماً ويدها ترتجف، وعندما اجابها عامل الهاتف قالت:

ـ مارغري دويل من فضلك.

وعندما عرفت مارغري هوية المتكلم صرخت من الفرح والتعجب:

ـ كنت اتساءل متى سأسمع اخبارك ثانية؟

ـ هل تتناولين الغداء معي اليوم يا مارغري؟

ـ أحب ذلك كثيراً، قولي لي اين فقط.

ـ ما رأيك بمطعم «عش الغراب»، انه المطعم اللائق الوحيد، وقريب من مكان عملك، وهو يترك لنا فرصة أكبر للكلام.

ـ اوه، ولكنك تحلقين في الاعالي يا كارولين فمطعم «عش الغراب» هو أحد المطاعم الفاخرة والمكلفة.



ـ طالما لدي اجنحة للتحليق فلم لا أفعل؟

ـ يبدو لي ان الامر مثير للاهتمام.

ـ سأراك إذاً عند الواحدة.

ولاحظت وهي تقفل السماعة صوت تكتكة مما اثبت ظنونها ان أحداً كان يراقب حديثها على الهاتف، ثم اغلقت عيناها، وقاومت موجة ثانية من الغثيان. فقد تعمد أحد ان يستمع لحديثها. بسهولة تستطيع استثناء نيكولا، والخدم، وهذا يترك روسل وايزابيل. روسل ينهض من نومه عادة في وقت متأخر، ولكن هناك سماعة هاتف الى جانب سريره موصلة بالهاتف العام، كذلك قرب سرير ايزابيل. ولكن ايزابيل موجودة في الطابق الاسفل، ولكن على مسافة من الهاتف في الردهة. من بين الاثنين اعتبرت ان ايزابيل هي الفاعلة. وهكذا حذرت من ان تتكلم في الهاتف مستقبلاً. فليس بعيداً على امرأة تقتحم حرمة غرفة النوم دون اعتبار عري من فيها، ان تقوم باعمال أكثر حقارة.

وقررت كارولين ان من الافضل لها ان تبتعد عن طريق الجميع، فبقيت في غرفتها، وطلبت ان يحضر لها الشاي الى غرفتها. وارسلت مع تيل ملاحظة الى المطبخ بانها لن تكون على الغداء، ثم غسلت شعرها واختارت بذلة بنية مخططة بالكريم، لتناسب موعدها على الغداء مع مارغري.

عندما كانت تقود سيارتها متجهة الى المدينة، كانت ترتجف وكأنها تركت وراءها قوة شريرة.

لم تكن قد تركت منزلها خلال الاسابيع الماضية سوى نادراً. وعدم لقاءها اليوم على الغداء بايزابيل وابنها كان بمثابة النجاة من السجن الذي اصبحت حياتها اسيرة فيه.

وصلت مبكرة الى «عش الغراب» لتؤمن طاولة تكفل ما يكفي من الانفراد، ثم جلست تنتظر مارغري. ولم تنتظر طويلاً، حتى دخلت مارغري المطعم وشعرها الاحمر يتطاير حول وجهها، وارسلت نظرة

سريعة حول المطعم، ثم تقدمت حيث شاهدت كارولين تجلس.

- تعجبني قصة شعرك، وثيابك، تبدو غالية الثمن...

- هل انت سعيدة يا كارولين؟

- أجل بالطبع، ولم لا أكون سعيدة؟

- لقد شككت لحظة بنظرتك و...

- اوه يا مارغري.

وتنهدت كارولين وهي لا تزال مترددة في توريط مارغري بمشاكلها الخاصة، واضافت:

- أود فقط ان اتكلم مع شخص عاقل دون الحاجة الى الخوف من قول شيء خاطىء.

- وهل الامر بهذا السوء؟

- بما فيه الكفاية.

ووصل الساقي ليسجل طلباتهما، وبينما هما في الانتظار تحدثتا في العديد من المواضيع. وكأنما أحست مارغري ان اللحظة لم تحن بعد لسؤالها عن معلومات اضافية. ولكن بعدما انتهتا من الطعام وأزيلت الاطباق، وجلستا تستمتعان باحتساء قهوتهما، مالت مارغري نحو كارولين وسألتها:

- هل المشكلة مع الاسد؟ هل ما زال يعاملك بخشونة؟

- لا الامر ليس هكذا...

وترددت، ثم اشارت يائسة بيدها.

- في الحقيقة ليس لدي الحق في ان اناقش اي شيء خاص وسري كهذا، ولكن يجب ان اتحدث مع شخص ما، وانت الشخص الوحيد الذي أثق به، يا عزيزتي.

- تستطيعين ان تثقي بي يا عزيزتي.

- اعلم.. لذا فأنا هنا، ولذا سوف اكشف لك عن همومي.

- انا استمع اليك، هيا.



وقاومت كارولين عدم ثقتها بنفسها للحظة، ثم بدأت الكلام. وخرج الكلام متلعثماً في البداية، ولكن صوتها اصبح اقوى وهي تتابع الحديث. واستمعت اليها مارغري دون مقاطعتها، وشعرت كارولين وكأنها تزيح ثقلاً رهيباً عن كتفيها. الحديث عن الامر جعل الوضع يبدو أقل رعباً، ووجدت انها قد تضحك عند ذكر بعض الاحداث التي وصفتها لصديقتها. وبقي شيء واحد لم تقدر ان تذكره، وهو الوضع القائم بينها وبين غوستاف. كان وضعاً خصوصياً، وشخصياً جداً، ولا يخص سواهما.

وعلقت مارغري أخيراً عندما صمتت كارولين:

- لا يعجبني ما ذكرته عن زوجة والد الاسد.

- انها يائسة لتحصل على ما تريد، ولهذا السبب تمادت كثيراً الى درجة عرض المال علي، لأخرج من طريقها، ولقد اصبحت مرعوبة من التفكير بما قد تفعل.

- لقد كنت حمقاء لزواجك منه اصلاً.

- لم يكن لدي خيار آخر، اتذكرين؟ كان امامي إما هو أو ماكسويل هيلتون، واظن انني كنت افضل ان اقتل نفسي على ان يلمسني هيلتون!

- الم تقعي بعد بحب غوستاف؟

وفاجأها السؤال، حتى انها لم تستطع اخفاء الحقيقة من عينيها. وتمتمت مارغري، وعيناها لا يفوتهما شيء:

- آه.. يا الهي، انت واقعة في مشكلة حقاً!

- لم استطع منع نفسي يا مارغري، لم أكن أريد أن أحبه، فهو قاس، دون شعور، ظالم، ولكن...

- ولكن قلبك المرهف ذاب بين يديه الخبيرتين! انظري، لو كنت سأعطيك اية نصيحة، فهي هذه:

ابتعدي عن طريقهم قدر المستطاع. وإذا كان المنزل غير كبير كفاية ليستوعبكم جميعاً دون التصادم مع بعضكم في بعض الاوقات، فأنا

اقترح عليك، ان تخرجي الى البلدة، ولا تعودي إلا قبل عودة غوستاف بقليل.

وإذا احتجت الي، فانت تعرفين عنوان منزلي. وعندي غرفة اضافية، وسأكون سعيدة جداً برفقتك.

وشعرت كارولين بالدفء في قلبها تجاه هذه المرأة. التي اصبحت بالنسبة لها صديقة مخلصة خلال وقت قصير، وابتسمت وهي ترتجف، وهمست:

ـ لقد شعرت بالراحة بعدما تحدثت اليك يا مارغري، شكراً لك!

وعادت كارولين بعد الظهر الى «لاروش» وهي مرتاحة البال، ولكن مقداراً من الخوف عاودها عندما كانت ايزابيل أول شخص لاحظ وصولها، وعاودها التوتر، عندما اشارت اليها ايزابيل لتتبعها الى غرفة الجلوس قائلة:

ـ أود ان اتحدث معك للحظة يا كارولين.

وصلّب القلق اطراف كارولين، ولكن عندما واجهتا بعضهما خلف الباب المغلق فاجأتها ايزابيل بالقول:

ـ أنا مدينة لك بالاعتذار. ليس لدي الحق بان اعرض عليك المال بالطريقة التي حصلت هذا الصباح. على المرء ان يعرف متى يعترف بالخطأ، الا توافقين معي؟

ما هي الحيلة الجديدة التي تحضرها هذه المرأة؟ فكرت كارولين قليلاً واجابت:

ـ هل اعترفت بهزيمتك يا ايزابيل؟

ـ انت متزوجة من غوستاف، وليس هناك طريقة لتغيير هذا الواقع، اليس كذلك؟

ـ أنا سعيدة لانك تشعرين هكذا حول الامر. وهذا يجعل العيش معاً اسهل.

ـ بالتأكيد ياعزيزتي.



اذا كانت ايزابيل صادقة باعتذارها، اذاً لن يكون هناك اي شيء ليقلق كارولين بعد، ولكن ماذا لو لم تكن صادقة؟ هل هي جادة، أم أنها تخطط لاستراتيجية جديدة لمحاولة خداع غوستاف؟

وأقلق هذا السؤال كارولين كثيراً، ولكن بمرور الأيام. يوماً بعد يوم، وبرفقة ايزابيل المتلائمة ظاهرياً. بدأت كارولين تخفف من حذرها. وكان قد مر نصف شهر من بداية الخريف الآن، ولا زالت ايزابيل محافظة على الجبهة الهادئة التي بدأت بها يوم اعتذرت من كارولين. ووجدت كارولين نفسها باقتراب موعد الخامس عشر من الشهر، مهتمة اكثر بادراك ان اقامتها القصيرة في «لاروش» تسرع نحو النهاية.

غوستاف، كالعادة، لم يكن يظهر أي اشارة بانه سئم منها. في الواقع، بدا وكأن رغبته بها قد ازدادت. مع انها كانت عالقة بعاصفة حبه. كانت تذكر نفسها دوماً، ان الأمر لن يدوم. كانت الفكرة تبعث الى اليأس، لعلمها انها ستجد نفسها قريباً غير مرغوبة من الرجل الذي وضعت قلبها وروحها بين قدميه بكل غباء، وانها سوف تقضي ايامها القادمة دونه. وهناك شيء آخر اقلقها مؤخراً، انه الشعور بالغثيان الذي كانت تمر به كل صباح عندما تستيقظ، ولكنها اعتبرت الأمر غير مهم في الوقت الحاضر، في ضوء التعاسة التي ستتحملها في المستقبل.

في اليوم السابق لليوم الذي يستطيع فيه غوستاف المطالبة قانونياً بارثه، خرجت كارولين لتتمشى بعد الغداء، ولكنها عندما خرجت وجدت نيكولا واقفة على التراس. وبادرتها نيكولا قائلة:

ـ كارولين يجب ان اتحدث معك، قابليني عند بركة السمك بعد ساعة.

ولم تكد تنهي كلماتها حتى خرجت ايزابيل الى التراس وتحولت نظراتها الحادة فوراً نحو نيكولا.

ـ الم يحن الوقت لتصعدي الى غرفتك وترتاحي؟

ـ آه . . أجل.

ورمقت كارولين بنظرة قلقة واضافت:

ـ كانت تقول لي كارولين، انها ستصعد الى غرفتها ايضاً.

لسبب مجهول، لم ترغب نيكولا في ترك كارولين لوحدها مع ايزابيل، وستكون غبية إذا لم تلاحظ هذا. وتساءلت عن السبب، ولكنها قررت انه من الافضل لها ان تنتظر حتى تتاح الفرصة لنيكولا ان تقول لها بنفسها.

ـ يجب ان اعترف ان الراحة قبل تناول الشاي امر مريح. سارافقك الى فوق.

كان الصمت مطبقاً بشكل غريب بينهن وهن يصعدن الدرج، ولم تقدر كارولين ان تصرف عنها الفكرة بان ايزابيل تبدو مشغولة البال من شيء ما. أيكون ذلك عائداً لمعرفتها بأنها لن تستطيع عمل شيء لتغير مسار الأحداث، ام ان سخطها موجه فقط نحو نيكولا لعدم التزامها بالنظام الذي قررته لها؟.

عندما اصبحت كارولين لوحدها في غرفتها. حامت افكارها حول ما حصل على التراس. وتصاعدت الاسئلة الى عقلها، ولكن دون جواب، وامضت الساعة وهي جالسة قرب النافذة لتعيد النظر في الواقع الذي برز فجأة.

كان الهدوء يعم في «لاروش» في مثل هذه الساعة من النهار، وحدت غوستاف على منزله، ونظراتها تجول في الحديقة الرائعة حيث تباشير الربيع كانت واضحة في براعم الشجر وتكون الزهور.

كان من الممكن ان تكون الأمور على خير ما يرام في «لاروش» لولا وجود عائلة غوستاف بالتبني. وفوق ذلك، فإن كارولين تشعر بأنها لو اتيحت لها الفرصة. لكان بإمكانها ان تجعل من «لاروش» الجنة التي يعود اليها غوستاف مساءً لينفض عنه عناء النهار، ولكنه رجل يحب الوحدة، ويتمتع بحريته، وبتغيير الدائم للنساء اللواتي يقضي معهن اوقاته. كان لديه قوانينه الخاصة، ولا يرتبط بشيء. اذاً ما هي فرصتها باستبقائه عندما تتحول اهتماماته نحو امرأة اخرى؟



ولمحت طيفاً ابيض اللون يمر في الحديقة، انها نيكولا، تسير مسرعة قدر استطاعتها نحو بركة السمك، وهي تنظر باستمرار نحو المنزل. حتى من هذا المسافة كانت كارولين تحس انها خائفة، وعندما اختفت خلف الاشجار. غادرت كارولين غرفتها ونزلت مسرعة.

ـ هل انت ذاهبة للتمشي يا كارولين؟

ـ ماذا؟

والتفتت كارولين بسرعة لتواجه المرأة التي تكلمت، وكأنها برزت من لا مكان من التراس، و بذلت وسعها لاستعادة هدوئها بهدوء مدهش:

ـ اوه... أجل.. أجل أنا ذاهبة لاتمشى.

وقالت لها ايزابيل، وهي تهبط الدرج لتصبح الى جانبها:

ـ انه يوم ربيع دافىء. اظن انني سأتمشى أنا ايضاً. أرجو ان لا تمانعي لو رافقتك، يا كارولين!

ـ لا أمانع ابداً.

واشارت ايزابيل الى الناحية المعاكسة للناحية التي توجهت اليها نيكولا وقالت:

ـ هل نسير بهذا الاتجاه؟

وهزت كارولين رأسها موافقة، ولكنها شعرت بفمها يجف، وتسارعت دقات قلبها من التوتر. وفكرت: لقد عرفت، ايزابيل عرفت! وعلمت للتو ان ما كانت ستقوله لها نيكولا شديد الاهمية. مهم جداً في الواقع، حتى ان ايزابيل تقوم باقصى ما تستطيع لمنع لقائهما.

وشعرت بالانزعاج عندما فكرت بنيكولا وهي تنتظرها دون جدوى، وحاولت ان تعطي الانطباع بانها غير مهتمة بشيء. ولكن توتراً غريباً كان يزحف اليها على الرغم من جهودها لتسترخي. لم تكن تثق بايزابيل، ولا للحظة، ولكن ايزابيل بدت بحالة من الثرثرة الفارغة، وحديثها المتشعب حول «لاروش» كما كانت بعد زواجها من ريغارد دوليو. واخيراً نجحت في جذب انتباه كارولين وجعلها ترتاح عندما اشارت ايزابيل الى بناء قديم مخبأ خلف الاشجار وقالت:

- هذا البناء كان يستخدم لخزن الغلال، ستلاحظين الجدران الحجرية السميكة، وعدم وجود النوافذ، لقد صمم بالطبع لمنع الهواء والنور، هل تثير مثل هذه الاشياء اهتمامك؟

- نعم كثيراً.

- هل ترغبين في القاء نظرة الى الداخل؟

ودون ان تنتظر رد كارولين تقدمت وازاحت القفل الذي اصبح صدئاً مع الزمن.

- لا بد أنه لا يزال يحتوي على بعض اثار الماضي وقد تجدينها مثيرة ومسلية.

وفتحت الباب الخشبي الضخم. ودخلت أمام كارولين الى الداخل وتبعتها كارولين.

عمت رائحة الرطوبة والعفن تملأ الأنوف، وعندما وصلت الى قرب ايزابيل، لم تعد واثقة من رغبتها في رؤية المزيد.

- انه معتم كثيراً ورائحته عفنة، اليس كذلك؟

وتابعتا التقدم في العتمة واجابتها ايزابيل.

- هذا ما يحدث من قلة الاستخدام. هناك قنديل في مكان ما.. وبعض الكبريت، لو انني أجدها.

وبقيت كارولين حيث هي بينما أخذت ايزابيل تفتش عن القنديل والكبريت، ولكن بعد لحظات قفز قلبها الى حنجرتها عندما سمعت الباب الخارجي يقفل. وصرخت بعصبية:

- ايزابيل؟ آمل ان تجدي الكبريت بسرعة، لقد اصبح الظلام شديداً لأن الباب اقفل.

ولم يصلها رد، ولا صوت حركة، فقط صمت مخيف مظلم.

- ايزابيل هل انت هنا؟

وصرخت من الذعر «ايزابيل!».

وشعرت بالخوف يمتلك كل شرايينها، وهي تحاول ايجاد طريقها نحو الباب، وتعثرت بالاشياء الملقاة على الارض. واخذت تفتش بيديها



عن القفل، بعدما وصلت الى الباب، ولكن لم يكن هناك شيء.

وسمعت ضحكة مجنونة من خلف الباب، وعرفت كارولين فوراً الحقيقة الصادمة المرعبة. لقد سجنت هنا، علقت في قبو الغلال، وايزابيل واقفة في الخارج في دفء الشمس، تضحك بسخرية من نصرها السهل. وصرخت:

- ايزابيل، لا تستطيعين فعل هذا معي!

وبهستيرية أخذت تضرب الباب الخشبي السميك:

- اخرجيني من هنا! أرجوك! ايزابيل، اخرجيني!

واصبحت الضحكة اخف، ولكن كارولين استمرت بضرب الباب بقبضتها، متوسلة، متوسلة، حتى آلمتها يداها، واحست بالاختناق.

كان الوضع دون رجاء، وعلمت ذلك! لقد علقت في الفخ، في هذا الظلام المرعب، يزيده رعباً قدم المكان، وايزابيل ستتأكد من بقائها هناك الى ان تجني ثمار خطتها الشيطانية.

# ١٠ ـ انتهت المهمة!

جلست كارولين على الارض قرب باب القبو، وهي خدرة بمزيج من البرد والخوف، ولفت ذراعاها من حولها. لم يكن هناك طريقة لمعرفة كم مضى عليها من وقت هناك، ولكن بدا وكأنها ساعات وكانت الجرذان تعدو مسرعة على الارض بالقرب منها، مما جعلها تعض على شفتيها بشدة لتمنع نفسها من الصراخ، رعباً. واخذت تصلي «يا الهي العزيز، ارجوك ان تخرجني من هنا» ولكن لم يحدث شيء سوى الصمت والظلام ورائحة النتن والجرذان لتسلي بوجودها لتمرير الوقت، لم تكن الدموع لتفيد، وكانت هذه الدموع قد نشفت عن وجنتيها منذ مدة. وبدأ البرد يتوغل في جسدها حتى العظام اثناء هذه الساعات المخيفة، كان لديها الوقت الكافي لتفكر، ولم تكن بحاجة إلى التفكير الكثير لتعلم لماذا ارادت نيكولا أن تتحدث معها بهذا الالحاح. مسكينة نيكولا! وخرجت منها ضحكة قصيرة هستيرية، ليتردد صداها في زوايا سجنها الفارغ. لقد ارادت نيكولا ان تحذرها، وان تجعلها تحترس، ولكن ايزابيل كانت أذكى من كنتها بكثير، واطبق الفخ قبل ان تتمكن كارولين من الاحساس بالخطر الشخصي الذي كان يترقبها.

«اين غوستاف؟ هل سيأتي للتفتيش عنها، ام هل سيظن انها اختارت هجرانه في الساعة التي يحتاجها فيها؟ وصرخت عالياً «آه يا الهي! ارجوك ان تهديه لأن يجدني. أرجوك لا تدعني ابقى في سجني هنا



في هذا المكان المخيف طوال الليل وربما طوال نهار الغد الى ان تنجح ايزابيل بما هي تستعد لاتمامه».

وتقدم منها جرذ كبير هذه المرة ومر من فوق قدمها، ولم تستطع كبح صرخة رعب خرجت مدوية من بين شفتيها، لم تكن تتحمل الجرذان والفئران. تستطيع تحمل أي شيء، ولكن ليس هذه المخلوقات الصغيرة المرعبة. ووجدت نفسها تقاوم شعوراً مخيفاً من الدوار في ذلك البناء الخالي من الهواء. وسقطت رأسها حتى أن ذقنها وصل الى صدرها، ووجدت صعوبة كبيرة للبقاء صاحية، ولكن بعد بضع دقائق، أم هي بضع ساعات، سمعت صوتاً أعادها الى الانتباه تماماً.

كان هناك شخص ما على الناحية الاخرى من الباب، وتأكد لها الامر بعد لحظة عندما فتح الباب تماماً ليسمح لهواء الليل البارد، ولكن المنعش، ان يدخل.

ـ كارولين؟

وجاءها الصوت العميق المألوف يتساءل بحدة، وتوجه الى وجهها مباشرة ضوء قنديل، مما جعلها تغلق عينيها من لمعانه. وصرخ غوستاف:

ـ يا الهي!

وجذبها دون ان تعي على قدميها، وجرها الى الخارج. كان الافراج عنها غير متوقع كما كان سجنها، ولكن من وسط الراحة التي شعرت بها برز غضب وجدت نفسها غير قادرة على السيطرة عليه. وبدا ان وقوعها في المصيدة في ذلك القبو المظلم اللعين قد أثر على نفسها وأثار غضبها، والفكرة الوحيدة التي بقيت عالقة في عقلها كانت ان غوستاف ملأ بطريقة ما عن الساعات الرهيبة التي وجدت أنها اجبرت على المرور بها.

ـ ابعد يديك عني!

صرخت في وجهه وجذبت ذراعها من قبضته، وابتعدت عنه حتى لا يصل اليها، واطرافها ترتعد من الألم.

ـ لم أمر سوى بالاهانات والاذلال والخزي منذ اليوم الذي اتيت به الى «لاروش» كزوجة لك، وانا ارفض ان اتحمل هذا لحظة اطول. سأغادر هنا في هذه الدقيقة، ولا اهتم ابداً عما سيحدث لك، أو بارثك الثمين!

ـ تمالكي نفسك فوراً! سوف ترين بنفسك النهاية لكل هذا. انت مدينة لي بهذا، وبعد ذلك لا يهمني ابداً ما تفعلينه!

ـ هذه أكبر غلطة لك! انت لا تهتم إلا بنفسك انت متعجرف مغرور بنفسك، وظالم متبجح، وانا أكرهك.

ـ اخرسي، ايتها الحمقاء الصغيرة. وسيطري على نفسك وإلا ساضطر الى صفعك بقوة!

كان تأثير صوته عليها كالسوط، وتوقف غضبها، وتركها خجلة من نفسها، فبدلاً ان تكون شاكرة له على تخليصها من قضاء الليل في هذا المكان المخيف، كانت تصرح به بغضب كان يجب ان يتوجه لايزابيل.

ـ كيف... كيف عرفت.. أين.. أين تجدني؟

ـ لقد اخبرتني نيكولا حول خطة ايزابيل لسجنك هنا حتى ما بعد زيارة المحامي لنا غداً.

وخلع سترته ووضعها فوق كتفيها المرتجفتين. كان دفء جسده ما زال في عمق السترة، وجذبتها لتلفها حولها باصابعها الباردة المرتجفة بينما تابع الشرح لها.

ـ ايزابيل ملأت احدى حقائبك ببعض اشيائك الخاصة بينما ابعد روسل سيارتك بعيداً ليجعلا من ذهابك وكأنه حقيقي. الامر الآن لا يبدو مضراً ولكنه لن يترك انطباعاً جيداً في نفس المحامي غداً!

ـ أجل، اعلم.. كان سيبدو بانني هربت منك.

ـ لو لم أكن اعرفك جيداً، ولم لم تخبرني نيكولا لتجعل مهمتي أسهل، لكانا نجحا بفعلتهما.



ومرت لحظات صمت غريبة، وهما يقفان وجهاً لوجه ثم وضع يده حول كتفها وقال:

ـ تعالي. هناك اشياء عديدة لاناقشها مع زوجة ابي، ومن الافضل ان تكوني ـ حاضرة.

لم تدري كارولين كيف إستطاعت ان تقطع المسافة الى المنزل، ولكنها سارت دون تذمر، وهي خائفة مما تعرف انه سيحصل. لقد آن أوان المصادمة، تستطيع ان تلاحظ ذلك من وضع فك غوستاف عندما دخلا الى الردهه المضاءة، ثم الى غرفة الجلوس حيث كان الثلاثي ينتظر بصمت وصولهما. والتعبيرات مختلطة على وجوههم. كانت ايزابيل تبدو وكأنها تضع قناعاً من التحدي لا يعكس أي اشارة للندم، بينما جلس روسل ويداه متدليتان بين ركبتيه، ونظرة كئيبة على وجهه الناحل وهو يركز نظره على السجادة تحت قدميه. من بين الثلاثة كانت تشعر بالعطف فقط نحو نيكولا، التي بدت شاحبة ومرتجفة، وقريبة جداً من البكاء. وبدأ غوستاف كلامه بعد أن تأكد من جلوس كارولين مرتاحة في مقعد قريب من النار.

ـ لدي اقتراح أعرضه عليك يا ايزابيل!

نبرة صوته وحدة تعبيراته جعلت كارولين مسرورة من ان كلماته ليست موجهة لها. وساد صمت متوتر وهم ينتظرون منه أن يكمل كلامه، وبدت عيون الثلاثة، وقد تسمرت في وجهه.

ـ بيعي لي حصصك في شركة بروتي للهندسة البحريه ودعيني اشتري بيتي.

وهكذا دخل في صلب الموضوع. وللحظة لم يتحرك أحد، ثم قفزت ايزابيل عن مقعدها، مذكرة كارولين بقطة وقد أخرجت براثنها.

ـ وهل تظن انني مجنونة؟

وضحكت تلك الضحكة التي سمعتها كارولين عندما كانت داخل القبو. واجابها غوستاف بلمسة مألوفة من السخرية في صوته.

ـ لست مجنونة يا ايزابيل. بل تحتاجين الى المال بيأس.

ـ قدم لي عرضاً.

وقدم غوستاف عرضاً جعل انفاس كارولين تتوقف تقريباً.

ـ اقبلي بهذا العرض أو اتركيه، مهما فعلت اريدك أن تخرجي من حياتي والى الابد.

لم يسيطر غوستاف على الغرفة في تلك اللحظة فقط بل على كل الموجودين فيها. وعلى الرغم من كل شيء، ملأ الاعجاب به نفس كارولين والكثير من الاحترام. فهو سيد «لاروش» الفخور المتغطرس، السليل الجليل المتحدر من خط طويل من الاجداد الاجلاء، ولن يتخلى عما هو حق له دون قتال حتى النهاية. وتدخل روسل قائلاً:

ـ ستكونين حمقاء إذا لم تقبلي يا أمي.

ونظرت ايزابيل اليه بنظرات غاضبة وارسلت كلماتها اليه كالسوط.

ـ اخرس انت يا روسل!

ـ لا.. يا امي لن اخرس.

ونهض على قدميه وتابع كلامه بطريقة ادهشت الجميع وهو ينظر الى عيني امه بجرأة.

ـ لم اعد أرغب في أن أكون شريكاً لك في مخططاتك الشيطانية اما ان تقبلي بعرض غوستاف، أو انني ونيكولا سنعود الى ناميبيا لوحدنا، ولن يكون لنا عندها علاقة معك.

وبدت ايزابيل وكأنها تغلي من الغضب:

ـ كيف تجرؤ على مخاطبتي هكذا!

ـ أجرؤ على ذلك يا امي، لأنني تعبت من كوني دمية في يديك وانت تحركين الخيوط المربوطة بي.

وامسك يد نيكولا واوقفها الى جانبه ليشملها بالقول الذي سيقوله:

ـ نيكولا وانا نرغب في ان نعيش حياتنا الخاصة في المستقبل، ونرغب في ان نتخذ قراراتنا بنفسنا دون أي تدخل منك.



ـ اعتقد انك انت من حرضته على هذا يا نيكولا!

ـ لا تلومي نيكولا يا امي، بل لومي نفسك. لقد تجاوزت حدك هذه المرة. ويتملكني العار للتفكير بانني كنت شريكاً معك.

ـ هل انتهيت من كلامك؟

ـ أجل لقد انتهيت.

ومد جسده الى كامل ارتفاعه والتفت الى المرأة الواقفة بقربه ونور الفخر يملأ وجهها:

ـ تعالي يا حبيبتي، لنصعد ونلملم اغراضنا.

لم تستطع كارولين إلا أن تعجب بروسل. ها هو اخيراً قد تغلب على القيود التي وضعتها امه حوله، وبهذا اصبح رجلاً، والتفت غوستاف نحو ايزابيل.

ـ حسناً يا ايزابيل؟ هل تقبلين عرضي؟

ـ سأقبله، اللعنة عليك. لأنني لست مستعدة ان اعيش على ايرادات اسهمي فقط، أما بالنسبة «للاروش» فلن اذرف اية دمعة على فراقها، لأنك ثقيل الظل بما فيه الكفاية حتى تستمر باعتبارها بيتك، وسأكون حمقاء لو رغبت في انهاء ايامي وانا اعيش تحت سقف واحد معك!

ـ انه لسعادة لي ان اعرف انك تشعرين هكذا يا ايزابيل، سأتصل بالمحامي واخبره بأن يأتي معه بالوثائق الضرورية عندما يأتي غداً.

لم تنتظر ايزابيل لتسمع المزيد، وخرجت من غرفة الجلوس مسرعة وصفقت الباب وراءها بقوة رجت زجاج النوافذ. لقد هزمت، وبقيت ضارية رغم هزيمتها وشعرت كارولين فجأة ببعض الشفقة عليها، لقد حاربت وخسرت، وكارولين تشعر بالشفقة عادة على الخاسرين. والدها كان خاسراً. وقريباً، كما يبدو ستكون هي ايضاً خاسرة وابتسم غوستاف وهو يقلب سيجارة بين اصابعه وقال:

ـ حسناً! يبدو ان العشاء سيكون لاثنين فقط هذا المساء.

نظرة التشفي والاكتفاء التي ظهرت على وجهه جعلتها تتساءل ما إذا

كانت ستظهر عليه النظرة ذاتها يوم سيرسلها لتلملم اغراضها ووجدت نفسها ترفض من اعماقها فكرة تناول الطعام، فقالت له وهي تحاول لملمة خيبتها المنتظرة:

- إذا كنت لا تمانع، أنا لست جائعة، وافضل الصعود الى غرفتي فانا منهكة، واحتاج الى حمام.

لم يحاول غوستاف منعها. بل انحنى ساخراً وهي تخرج، وتركت سترته على الكرسي الذي كانت تجلس فيه، ثم خرجت وصعدت ببطء الى غرفة النوم.

بعد ان تركت نفسها لوقت طويل في مغطس دافىء، خرجت منه وجففت نفسها وارتدت ثياب النوم. ولم تبال بروبها ولا بخفيها، ودخلت غرفة النوم عارية القدمين، كانت تعبة، وانزلقت بين ثنايا الفراش، ولكن يبدو انها لن تُمنح فرصة للنوم، فقد فتح باب الغرفة فجأة ودخل غوستاف وهو يحمل صينية عليها طبق فيه بضع سندويشات وكوباً من الحليب.

- لا يمكنك ان تنامي ومعدتك خاوية،

- انت لطيف جداً.

- لست لطيفاً، مهتم بك هي الكلمة الأصح. لقد عانيت أوقاتاً مزعجة عندما حبست في ذلك القبو القديم لعدة ساعات، واشعر انني ملام جزئياً لما حصل لك. اقترح عليك ان تأكلي هذه السندويشات، وان تشربي الحليب قبل ان يبرد. انت تعبة، ولا تعرفين ماذا تقولين!

واستدار على عقبيه وخرج من الغرفة، عندما خرج شعرت كارولين بان دموعها ستنهمر، ولكن هذا ليس وقت البكاء. سيكون لها وقت كاف فيما بعد، وشعرت بالمرارة وكفكفت دموعها واخذت أحد السندويشات وقضمته.

لم تكن خائفة، ولكنها دهشت عندما لاحظت انها افرغت الطبق، وبعد ان شربت الحليب الدافىء، اطفأت الاضواء واستلقت على



الوسادة. الشعور بالفراغ على رأس معدتها قد ذهب الآن، ولم يعد هناك سوى التعب، وبينما يشد النعاس اجفانها الى الاسفل كانت تتساءل ماذا يخبىء يوم غد من مفاجآت، وغطت بالنوم.

في الصباح التالي كان روسل ونيكولا استعدا للرحيل باكراً. ولكن ايزابيل كان تنتظر المحامي قبل ان تستعد لمرافقتهما في رحلة عودتهما الطويلة الى ناميبيا. كان يوماً غير عادي، فغوستاف سيبقى في المنزل ولن يذهب الى مكتبه وللمرة الأولى منذ اسابيع جلس الجميع الى مائدة الافطار، ولكن الصمت كان يسود على الغرفة، ولم يكسر هذا الصمت أحد.

ووصل المحامي عند وقت تناول الشاي صباحاً، وكان رجلاً طويلاً في الخمسين من عمره. ثم اقترح غوستاف ان يدخلا الى غرفة مكتبه ليبحثا في العمل بعيداً عن الشؤون الاخرى. وطبعاً دخلت ايزابيل معهما. وبقي كل من روسل ونيكولا وكارولين دون شيء يقومون به سوى الانتظار حتى ينتهي الامر.

وبادرت نيكولا قائلة لكارولين بعد ان التقتها لوحدها على التراس، قبل الغداء مباشرة.

- انا آسفة لما حصل ليلة أمس. عندما سمعت بما كانت تخططه ايزابيل حاولت ان احذرك، ولكن...

- اعرف ذلك.. لقد كان امامي الكثير من الوقت لافكر وانا عالقة في ذلك المكان المريع، وادركت عندها لماذا اردت أن تتحدثي معي بهذا الالحاح، ولكن ربما خمنت ايزابيل ما كنت عازمة عليه، فالتقطتني وانا في طريقي اليك.

- انتظرت حوالي الساعة.

قالت هذا همساً وملأت الدموع عينها، وقامت كارولين نحوها وقبلتها على خدها.

- لا تبكي، لقد انتهى كل شيء. وآمل ان تكوني سعيدة في المستقبل.



www.elromancia.com

- سأكون سعيدة... آه.. سأكون سعيدة.

لم ينتظر المحامي لتناول طعام الغداء ولكنه عاد الى «لاروش» بعد الثانية بقليل بمجموعة من الوثائق المطبوعة في حقيبته لا تحتاج الا للتوقيع، وهذا لم يأخذ وقتاً طويلاً، وخلال ساعة كان البيت خالياً سوى من كارولين وغوستاف. لقد انتصر غوستاف كما عادته دائماً.

وفي المساء جلسا بصمت يتناولان العشاء، لقد اصبحت «لاروش» ملكه كما كان يجب ان تكون منذ البداية. وبرز سؤال في ذهنها «ماذا سيحدث لي الآن؟» لم يكن شيئاً تحب ان تفكر به، ولكنها عرفت انها قد انهت مهمتها وستكون قريباً غير مرغوب بها هنا.

فيما بعد، في ذلك المساء، كانت تقف الى جانب نافذة غرفة نومها، تنظر الى الحديقة التي ينيرها ضوء القمر، عندما خرج غوستاف من غرفة الملابس وعبر الغرفة لينضم اليها، وقال وعضلات ذراعه تغمرها وتثير مشاعرها:

- لم تتكلمي كثيراً هذا المساء. في الواقع لم تقولي شيئاً طوال هذا اليوم.

واستدارت لتواجهه.

- كل ما افكر بقوله في هذه اللحظات هو «اهنئك» وكل ما أطلب معرفته: ماذا سيحدث بعد؟

- سنستمر كما نحن.

- الى متى؟

- طالما انا أرغب بك.

- بالطبع لي رأيي في هذا الموضوع؟ أم انك تعتبر ان شراءك لي يمنحك الحق المطلق في ان ترميني عندما تشاء؟

- سادعو هذا وقتاً اضافياً تمضيه سوية كمكافأة، الا ترغبين في هذا؟

وانزلقت يده على ظهرها بشوق وجذبها الى قربه أكثر. وصرخت بغضب.

- لا تلمسني!



وحاولت مقاومته ولكن قواها لم تكن شيئاً امام قوته. ووجدت نفسها عالقة تجاه جسده القوي.

- سألمسك، واحضنك، ومن الافضل لك ان تتقبلي هذا.

وعادت مقاومتها له تعنف أكثر واخذت تضربه بقبضتها على صدره وهمست.

- لا يمكن لك معاملتي بهذه الطريقة وتظن أنك ستنجح!

- سأعاملك بالطريقة التي أحب، ايتها القطة المتوحشة. وستبقين معي بقاءك يسعدني. لأن هذا هو ما ترغبين به، ولا تنكري.

لم يكن بمقدورها ان تنكر، حتى ولو أرادت، ووجدت نفسها تذوب بين ذراعيه.

في اليوم التالي، كانت كارولين لوحدها في المنزل، وكان امامها الوقت الكافي للتفكير. لم تكن قادرة على البقاء يوماً واحداً زيادة، لأن شكوكها ستدفعها للجنون، وقبل كل شيء لم تعد قادرة على تحمل الاذلال، ومن مجيء غوستاف ذات ليلة ليقول لها انه لا يرغب بها بعد الآن. كانت تحمل في احشائها جنيناً، لقد اصبحت متأكدة من هذا الآن، ومن المؤكد انه لن يريدها في منزله عندما يكتشف هذا.

وقررت ان توفر عليه مشقة طردها، بان تترك له «لاروش» بعد ظهر هذا اليوم بالذات، لقد أذلها بما يكفي في الماضي، وكانت مصممة على ان لا تذل بعد الآن.

لم يكن هذا القرار سهلاً عليها، ان تتخلى عن الرجل الوحيد الذي احبته في حياتها، ولكن الكبرياء كان يملي عليها عدم الاستمرار بالعيش تحت هذه الظروف، وهي ترفض ان تكون شيئاً يلعب به، دمية يستطيع التخلص منها عندما يناسبه ذلك، وهذا كله يدفعها الى شيء واحد امامها لتفعله. يجب ان تذهب، وهناك شخص واحد بامكانها اللجوء اليه.

كانت الساعة تجاوزت الخامسة من بعد الظهر عندما اوقفت سيارتها



www.liilromancia.com

الاوستن الصغيرة في مكان مخصص للوقوف خلف مجموعة من الابنية الحديثة في المدينة، وحملت حقيبة ملابسها ودخلت البناء، واستخدمت المصعد لتصل الى الطابق الثالث. كانت قد وضبت ملابسها في الحقيبة بسرعة بعد ان اتخذت قرارها لخوفها من امكانية تغيير رأيها. وتوليها بنفسها أمر مستقبلها جعلها تشعر بالارهاق. وصرخت مارغري عندما شاهدتها.

- كارولين!

وادركت وضعها على الفور، فاخذت الحقيبة من يدها وقالت لها بهدوء «ادخلي».

- سامحيني لقدومي هكذا دون ابلاغك مسبقاً ولكن...

- اجلسي هنا قبل ان تقعي. ماذا حدث؟

- لقد انتهى كل شيء.

- هل طلب منك الذهاب؟

- لا، ولكن... لم أقدر على الاستمرار بالعيش معه دون ان اعلم متى سيقرر طردي، لقد أوضح لي دوماً بأن زواجنا سيدوم فقط طالما كان هذا يناسبه، وانا... انا لا استطيع مواجهة الاذلال بـ... بطلبه مني ان أذهب.

وفقدت السيطرة على نفسها، ودفنت وجهها بين يديها، وانفجرت بالبكاء. لم تبك منذ وفاة والدها بهذه المرارة والدموع، وتركتها مارغري تبكي الى ان مالت الى المقعد، وقد انهكت، دون حراك.

- اشربي هذا، سيعيد اليك نشاطك.

واعطتها كوب شراب ساخن أحرق حنجرتها ومعدتها. ولكن مارغري اصرت عليها لتشربه كله، وبعد قليل احست ببعض الراحة، وبدأ الدفء يسري في جسدها وبدأت اعصابها ترتاح تدريجياً.

- انت عطوفة جداً يا مارغري، لم يكن لدي مكان آخر الجأ اليه.

- لقد فعلت الشيء المناسب بقدومك الى هنا. سأعتني بك.



ما تبقى من الامسية كان مبهماً بالنسبة لكارولين. حضرت مارغري الطعام لهما، ثم ذهبت كارولين الى الفراش لتنام طوال الليل وكأنها تناولت مخدراً.

في الصباح التالي لم تلمس شيئاً من طعام الفطور واكتفت بفنجان من القهوة. لم يكن من السهل الخروج من صدمة ما فعلته، أو تجاهل الفراغ الذي ينتظرها. لقد اتخذت القرار المناسب، بدلاً من ترك غوستاف ليتخذه عنها في الوقت الذي يرغب فيه في المستقبل، عندها ستضطر الى حمل كل اعباء ذلك القرار لما تبقى من حياتها. لقد اصبح غوستاف جزءاً من ماضيها، ويجب عليها ان تتأكد من بقاء الامور على هذه الصورة.

وراقبتها مارغري بصمت وهما تجلسان قبالة بعضهما على طاولة المطبخ الصغيرة، والدموع الحارة تنهمر من عيني كارولين.

- تحبينه كثيراً، اليس كذلك؟ ولكن هل حاولت ان تقولي له؟

وحاولت كارولين ان تتمالك نفسها، ولكنها لم تقدر تماماً على السيطرة على صوتها المرتجف.

- كيف تقولين لرجل له قلب من حجر انك تحبينه؟ انه يسخر من الكلمة نفسها، وسينتهي بي الامر الى ان يذلني. وهناك سبب أهم يمنعني من البقاء معه حتى لو طلب مني ذلك.

وعضت على شفتيها المرتجفة بشدة، وتلاقت نظرتها بنظرة مارغري المتسائلة:

- سيصبح لدي طفل!

- ولكن... يا الهي..

- انه يكره الاطفال، هل فهمت، لقد اخبرني ذلك بنفسه.

للمرة الأولى منذ عرفت مارغري، لم تشاهدها هكذا وقد خانتها الكلمات، ثم التقطت حقيبة يدها واستدارت لتقف امام كارولين.

- انظري... اعتبري نفسك في بيتك، وخذي الامور بروية. فمن

يعلم، ربما في بضعة أيام سيتبلور الوضع بوضوح أكثر مما نتوقعه.

ـ لن تخبريه بانني هنا، اليس كذلك؟

ـ لن أخبره.

وبعد لحظات، وجدت نفسها وحيدة في شقة صديقتها ولتشغل نفسها نظفت الاطباق ورتبت المكان، ولكن ببلوغ العاشرة وجدت نفسها من غير عمل تشغل به نفسها. وهكذا عادت افكارها لتعذبها. وبدأت تصلي صامتة «يا الهي العزيز، ضع لي نوراً على النافذة لاهتدي به فأنا خائفة».

بعد دقائق دق جرس الباب، وظنت انه ساعي البريد، وذهبت لترد عليه ولكن وجهها شحب، واوشك قلبها ان يخرج من ضلوعها عندما رأت غوستاف يقف على عتبة الباب.

كان يجب عليها ان تعرف ان هنا هو أول الاماكن التي يمكن ان يفتش فيها عليها.. ولكن الطمأنينة دخلت قلبها عندما اعادت النظر اليه، كان حليقاً، وانيقاً كالعادة في بذلته الداكنة، ولكن كان يعلوه مظهر رجل لم ينم طوال الليل. كانت عيناه مثقلتان بالتعب وتعابير وجهه جاهمة، ولكن هذا ليس الوقت المناسب لتشعر بالاسى عليه. وبجهد تمالكت نفسها. وسألته بحدة:

ـ ماذا تريد؟

فأجابها باختصار وهو يخطو الى الداخل ويغلق الباب وراءه.

ـ اريد التحدث اليك

كانت كل مشاعرها في حالة ذعر لدى رؤيته، ولكنها كانت مصممة ان لا تسمح له برؤية تأثير وجوده عليها. وقالت بسرعة:

ـ لا أظن ان لدي شيء لأقوله لك، ما عدا الوداع وبما انني قلتها الآن، بمكنك الذهاب من هنا.

ـ لا تتكلمي معي بهذه الطريقة، فانا لا اتحملها!

ـ لا أظن انك في وضع يمكنك املاء ارادتك عليّ، لقد قمت بكل



ما هو مطلوب مني. لقد اصبح لايزابيل رصيد ضخم في المصارف... وانت لديك منزلك وبورتي للهندسة البحرية تحت جناحك. وكل ما يبقى امامنا هو الحصول على طلاق هادىء وارجو ان يكون سريعاً. لتنتهي شراكتنا معاً.

وامسك بيديه القويتين كتفيها وادارها لتواجهه. ولكنها لم تقدر ان تلاقي نظراته الأسرة عندما سألها:

ـ هل تستطيعين عن حق ان تقولي ان كل فترة زواجنا كانت بغيضة على نفسك؟

ـ لا أرغب في مناقشة هذا الامر. ليس معك! ولا مع أحد!

ـ تبدين وكأنك خجلة مما حدث.

ـ أجل، أنا خجلة. انا خجلة لأن حاجتي للمال اجبرتني على الموافقة على الزواج منك، وانا خجلة لما اجبرتني على فعله في سبيل حصولك على ما تريد. ولكن أكثر من أي شيء، انا خجلة من مجرد التفكير بانني ظننت أنني أحبك.

ـ كارولين!

ـ انت لا تستحق ان تحب، تستحق الازدراء. فانت لا تحتاج الى الحب، ولا تستطيع ان تعطيه. وكما هو اسم بيتك «لاروش» هناك صخرة مكان قلبك. وكل ما استطيع الشعور به نحوك هو الشفقة.

ـ لا احتاج لشفقتك يا كارولين. احتاجك انت.

ـ ولأي غرض هذه المرة؟ هل هناك هدف ما لم تحققه بعد في حياتك يتطلب منك وجود زوجة؟

ـ لقد تحملتك بكثير من التفهم يا كارولين. الا تدركين كم أجد من الصعوبة لأن أشرح لك اسباب حضوري الى هنا لرؤيتك؟

ونظرت اليه، تحبه وتبغضه على حد سواء، ولكن مصممة ايضاً ان لا تستسلم لمطالبه.

ـ لم اتيت يا غوستاف؟ كي تتمتع بالظفر؟ لتذلني للمرة الأخيرة قبل ان تذهب في طريقك؟

ـ مكانك هو في «لاروش» وقد اتيت لآخذك معي الى هناك.

ـ حقاً؟ وهل تعتقد ان عليك فقط أن تفرقع باصابعك لي حتى آتي راكضة اليك؟

ـ بحق الله يا كارولين! هل تريدين اذ احبو على ركبتي تحت رجليك؟

وفجأة، لم يكن هناك شيء ترغب به في الدنيا أكثر من ان ترتمي على صدره، وان تشعر بذراعيه يشتدان من حولها. ولكنها لم تجرؤ. لم تستطع المخاطرة بان يحتضنها ولو للحظة. غوستاف رغب بنساء كثيرات قبلها وليس لديها من سبب للاعتقاد بانها لن تلاقي نفس مصيرهن.

ـ لا اعتقد انني ارغب في رؤية رجل له مثل كبريائك وشموخك يخفض من منزلة نفسه الى هذه الدرجة.

ـ ماذا تريدين إذاً؟

ـ اريد ان تبتعد عني. اريدك ان تدعني بسلام، لأنني لم أعد اتحمل هذا الموقف لحظة بعد.

واصبحت لهجتها الآن متوسلة، واصبح لونه ابيض وخاصة حول فمه بشكل غريب خلال الصمت الذي ساد.

ـ سأذهب يا كارولين، ولكن قبل ان أذهب هناك بضع اشياء يجب ان اقولها.

وامسكها بكتفيها ثانية وأجبرها على النظر في عينيه، وما رأته فيهما أذاب الجليد في مشاعرها ومن حول قلبها وبعث شعلة غريبة من الدفء في شرايينها.

ـ إذا كان هناك شيء في الدنيا يستاهل ان املكه في حياتي، فهو انت لقد قلت مرة انك ستشعرين بالحزن علي عندما أجد انني لا اقدر على شراء الحب، كما اشتري أي شيء آخر. اشعري بالحزن علي الآن، يا كارولين، ولكنني اعلم ان مستقبلاً من دونك لا يستاهل الحياة، لا استطيع اجبار نفسي حتى الآن لأقول الكلمات التي ترغبين في سماعها.



قد تبدو مني زائفة، ولكن ربما ستفهمين إذا قلت لك بانني مستعد للتخلي عن كل شيء وبسعادة لأمتلك انت فقط.

قضي الامر، واصبحت روحه عارية امامها لتراها في عينيه. ولكن بقدر ما غمرها من فرح في كل اجزاء كيانها، وجدت نفسها مضطرة لأن تقول.

ـ لا استطيع العودة معك، ليس الآن.

وسقطت يداه عنها واصبح تعبيره كئيباً لدرجة لم تتحملها، وهو يقول:

ـ الم يعد هناك أي شعور في قلبك لي؟

ـ ليس الامر هكذا. هل تذكر مرة انك قلت لي انك لا تستطيع تحمل صراخ طفل في بيتك؟

بدا مذهولاً للحظة، ثم تهللت اساريره بشكل مذهل، وارتفعت يداه لتحيطا بوجهها بنعومة ليتلمسها. وتمتم:

ـ يا حبيبتي! إذا كنت تحاولين ان تقولي انك حامل. إذاً فأنا لا استطيع التفكير بشيء يملأني سروراً أكثر من ان تحملي انت طفلي.

ـ ولكنك قلت..

ـ لقد قلت أشياء حمقاء كثيرة في وقت لم أكن أشعر بما أشعر به الآن!

ـ هل أجرؤ على تصديقك؟

ـ تعالي إلى البيت معي. حضري اغراضك واتركي رسالة لمارغري.

ـ ولكن ماذا أقول لها؟

ـ قولي لها ان زوجك بحاجة لك. وبأنه يريد قضاء ما تبقى من عمره وهو يعوض عليك كل التعاسة التي قد يكون سببها لك، عندما كان لا يزال غبياً لدرجة التفكير بانه لا توجد امرأة ابداً قادرة على عصر الدم من الصخرة التي يملكها مكان قلبه.

ـ آه... يا غوستاف!

وتنهدت وذابت بين ذراعيه، ولم يضيع الوقت فجذبها نحوه واحتضنها بحنان كما لم يحتضنها من قبل، وكانت لديها تلك الرغبة التي عرفتها من قبل جيداً، ولكن كان هناك ايضاً الرقة واللطف، فاستجابت اليه حتى شعرا انهما بحاجة للابتعاد قليلاً لاستعادة انفاسهما. ومررت اصابعها على قسمات وجهه بطريقة لم تكن تجرؤ من قبل ان تفعلها.

ـ لقد كنت جد تعيسة في حبي لك، وتعيسة لأنني ظننت انك لن تهتم بي بالمقابل.

ـ ايتها الطفلة الغبية. مهما كان القدر الذي قاومت فيه لخنق مشاعري، فقد كنتِ النور لحياتي منذ تلك الليلة التي جذبتك بها من تحت المطر الى داخل كوخي. لقد اسرتيني يومها، وقبل ان نفترق علمت بانني ارغب بك أكثر من أي شيء رغبته في حياتي. لقد رأيت معك الحل لمشاكلي، ولم اشعر بالارتياح إلا عندما علمت انك فسخت خطبتك لدنيس.. ما اسمه، لقد اصبح هذا من الماضي. ظننت بادىء الامر ان من ابسط الامور في الدنيا ان اتركك تذهبين بعد قضاء مهمتك، ولكن منذ البداية وجدت نفسي اقاوم كالشيطان نفسه ضد المشاعر التي اصبحت اقوى مني.

ـ أحبك يا غوستاف.

مع الوقت، لربما استطاع ان يتعلم كيف يبلغها بحبه، ولكن في تلك اللحظات، الكلمات لم تكن ضرورية.

أسد الصخرة قد اختارها لأنه يحبها، كانت الحقيقة هنا في عينيه، في شفتيه، في لمساته، ولم تستطع ان تفكر بأي شيء ترغب فيه أكثر من نعمة مشاركته الحياة، وان تنجب طفله.